مغامرات السنجاب ثرثار

ثورنتون دبليو برجس



مُغَامَرَاتُ السِّنْجَابِ ثرثار

تأليف
ثورنتون دبليو برجس

ترجمة
لبنى عماد تركي

مراجعة
مروة عبد الفتاح شحاتة



مُغَامَرَاتُ السِّنْجَابِ ثرثار

ثورنتون دبليو برجس

The Adventures of Chatterer the Red Squirrel

Thornton W. Burgess

الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

٣ هاي ستريت، وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة
تليفون: ‎+ ٤٤ (٠) ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

رسم الغلاف: حنان بغدادي.

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ١٣٤٨ ٤

المحتويات

الفصل الأول

السِّنْجَابُ الْأَحْمَرُ ثرثار يَنْجُو بِحَيَاتِهِ

كَانَ السِّنْجَابُ الْأَحْمَرُ ثرثار مُسْتَاءً مِنْ غِيَابِ الْإِثَارَةِ، حَتَّى إِنَّهُ حَاوَلَ خَلْقَ بَعْضِ الْإِثَارَةِ بِإِيقَاظِ الرَّاكُونِ بوبي وَإِثَارَةِ غَضَبِهِ الشَّدِيدِ حَتَّى هَدَّدَهُ بوبي بِأَكْلِهِ حَيًّا. اسْتَمْتَعَ كَثِيرًا بِالرَّقْصِ فِي أَرْجَاءِ الْمَكَانِ وَإِهَانَةِ بوبي وَالسُّخْرِيَةِ مِنْهُ. أَجَلْ، كَانَ ذَلِكَ مُمْتِعًا بِحَقٍّ؛ فَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ طَوَالَ الْوَقْتِ أَنَّ بوبي لَنْ يَتَمَكَّنَ مِنَ الْإِمْسَاكِ بِهِ وَإِنْ حَاوَلَ. وَلَكِنَّ الْوَضْعَ مُخْتَلِفٌ الْآنَ؛ فَقَدْ تَحَقَّقَ لِثرثار كُلُّ مَا تَمَنَّاهُ مِنْ إِثَارَةٍ، بَلْ أَكْثَرُ مِمَّا تَمَنَّاهُ. فَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ كَانَ يَفِرُّ لِيَنْجُوَ بِحَيَاتِهِ، وَكَانَ يُدْرِكُ الْخَطَرَ الْمُحْدِقَ بِهِ.

إِنَّهُ لَأَمْرٌ مُفْزِعٌ جِدًّا أَنْ يُضْطَرَّ الْمَرْءُ إِلَى الْفِرَارِ لِيَنْجُوَ بِحَيَاتِهِ. وَالْأَرْنَبُ بيتر خَيْرُ مَنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ؛ فَكَثِيرًا مَا فَرَّ لِيَنْجُوَ بِحَيَاتِهِ؛ فَأَحْيَانًا كَانَ الثَّعْلَبُ ريدي يُطَارِدُهُ، وَأَحْيَانًا أُخْرَى كَلْبُ الصَّيْدِ باوزر، وَمَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ. وَكَانَ بيتر يَعْلَمُ أَنَّ حَيَاتَهُ تَعْتَمِدُ عَلَى سَاقَيْهِ الطَّوِيلَتَيْنِ، وَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ تَمَلَّكَ قَلْبَهُ الْخَوْفُ الشَّدِيدُ. وَلَكِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَيْضًا أَنَّهُ إِذَا تَمَكَّنَ مِنْ بُلُوغِ الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ أَوِ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ أَوَّلًا، فَسَيَكُونُ فِي مَأْمَنٍ، وَكَانَ دَائِمًا مَا يَبْلُغُهُ. لِذَا عِنْدَمَا كَانَ يَرْكُضُ مُسْتَشْعِرًا ذَاكَ الْخَوْفَ الشَّدِيدَ، دَائِمًا مَا كَانَ يَشْعُرُ بِالْأَمَلِ أَيْضًا.

وَلَكِنَّ السِّنْجَابَ الْأَحْمَرَ ثرثار كَانَ يَرْكُضُ بِلَا أَمَلٍ. لَمْ يَشْعُرْ إِلَّا بِخَوْفٍ شَدِيدٍ فِي قَلْبِهِ؛ إِذْ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ أَيْنَ لَهُ أَنْ يَذْهَبَ؛ فَالشَّجَرَةُ الْمُجَوَّفَةُ وَالْفُتْحَاتُ الْمَوْجُودَةُ فِي الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ؛ حَيْثُ مِنَ الْمُمْكِنِ لَهُ أَنْ يَحْتَمِيَ دَاخِلَهَا مِنَ الْآخَرِينَ جَمِيعًا — حَتَّى ابْنِ الْمُزَارِعِ براون — لَنْ تُوَفِّرَ لَهُ الْأَمَانَ الْآنَ؛ لِأَنَّ مَنْ كَانَ يَرْكُضُ فِي إِثْرِهِ وَقَدْ لَاحَ الْجُوعُ فِي عَيْنَيْهِ الْمُحْمَرَّتَيْنِ غَضَبًا يَسْتَطِيعُ الْوُصُولَ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ يَصِلُ إِلَيْهِ ثرثار، وَيُمْكِنُهُ الْوُلُوجَ

إِلَى أَيَّةِ فُتْحَةٍ يُمْكِنُ لِثرثار أَنْ يَحْشُرَ نَفْسَهُ فِيهَا. فَقَدْ كَانَ ابْنُ عِرْسٍ شادو مَنْ يُطَارِدُ ثرثار، وَشادو رَشِيقٌ جِدًّا بِحَيْثُ يُمْكِنُهُ الدُّخُولُ إِلَى أَمَاكِنَ حَتَّى ثرثار نَفْسُهُ لَا يُمْكِنُهُ الْمُرُورُ عَبْرَهَا.

وَكَانَ ثرثار يَعْرِفُ ذَلِكَ كُلَّهُ؛ وَنَظَرًا لِعَدَمِ جَدْوَى الرَّكْضِ إِلَى مَخَابِئِهِ الْآمِنَةِ الْمُعْتَادَةِ، رَكَضَ فِي الِاتِّجَاهِ الْعَكْسِيِّ تَمَامًا. لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ إِلَى أَيْنَ هُوَ ذَاهِبٌ، وَلَمْ تَشْغَلْ بَالَهُ سِوَى فِكْرَةٍ وَاحِدَةٍ: أَنْ يَسْتَمِرَّ فِي الرَّكْضِ قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ، ثُمَّ يُحَاوِلَ أَنْ يُقَاتِلَ، وَإِنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ قِتَالَهُ سَيَكُونُ بِلَا جَدْوَى.

وَبَكَى، بَيْنَمَا كَانَ يَرْكُضُ أَعْلَى غُصْنِ شَجَرَةٍ وَيَثِبُ مِنْهُ إِلَى الشَّجَرَةِ الْمُقَابِلَةِ، وَقَالَ: «يَا لَلْهَوْلِ! يَا لَلْهَوْلِ! لَيْتَنِي لَمْ أَتَدَخَّلْ فِيمَا لَا يَعْنِينِي! لَيْتَنِي أَمْسَكْتُ لِسَانِي. لَمْ يَكُنْ شادو لِيَعْرِفَ مَكَانِي لَوْ لَمْ يَسْمَعْ صَوْتِي. يَا لَلْهَوْلِ! يَا لَلْهَوْلِ! مَاذَا أَفْعَلُ؟ مَاذَا أَفْعَلُ؟»

وَفِي ذَلِكَ الْحِينِ كَانَ ثرثار مِنْ شِدَّةِ خَوْفِهِ قَدْ رَكَضَ وَقَفَزَ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ حَتَّى بَدَأَ يَسْتَبِدُّ بِهِ التَّعَبُ. اكْتَشَفَ تَوًّا أَنَّ عَلَيْهِ أَنْ يَقْفِزَ قَفْزَةً طَوِيلَةً جِدًّا كَيْ يَبْلُغَ الشَّجَرَةَ التَّالِيَةَ. وَكَثِيرًا مَا قَفَزَ قَفَزَاتٍ بِالطُّولِ نَفْسِهِ دُونَ أَنْ يَشْعُرَ بِذَرَّةِ قَلَقٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ مُتْعَبًا لِلْغَايَةِ حِينَذَاكَ بِحَيْثُ بَدَتْ لَهُ الْمَسَافَةُ ضِعْفَ طُولِهَا الْحَقِيقِيِّ. وَلَمْ يَجْرُؤْ عَلَى التَّوَقُّفِ حَتَّى يَنْزِلَ مِنْ عَلَى الشَّجَرَةِ وَيَلُوذَ بِالْفِرَارِ؛ لِذَا أَخَذَ نَفَسًا عَمِيقًا وَرَكَضَ سَرِيعًا عَلَى غُصْنِ الشَّجَرَةِ، ثُمَّ وَثَبَ. لَامَسَتْ يَدَاهُ طَرَفَ الْغُصْنِ الْأَقْرَبِ إِلَيْهِ بِالشَّجَرَةِ الْمُقَابِلَةِ، فَبَذَلَ قُصَارَى جُهْدِهِ لِلتَّشَبُّثِ بِهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ، فَسَقَطَ إِلَى أَسْفَلَ، وَرَاحَ يَتَهَاوَى إِلَى الْأَسْفَلِ، لَكِنَّهُ شَدَّ نَفْسَهُ قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ، وَهُوَ مَا أَنْقَذَ حَيَاتَهُ إِلَى حَدٍّ مَا، إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ سَقْطَةً مُرَوِّعَةً، وَعِنْدَمَا ارْتَطَمَ بِالْأَرْضِ بَدَا لَهُ الْأَمْرُ لِدَقِيقَةٍ وَكَأَنَّ رُوحَهُ قَدْ فَارَقَتْهُ. وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَحْدُثْ، وَبَعْدَ دَقِيقَةٍ رَاحَ يَتَسَلَّقُ الشَّجَرَةَ مَرَّةً أُخْرَى.

الفصل الثاني

فُرْصَةُ ثرثار الْأَخِيرَةُ

وَبَيْنَمَا كَانَ ثرثار يُحَاوِلُ الْفِرَارَ لِلنَّجَاةِ بِحَيَاتِهِ دُونَ أَدْنَى أَمَلٍ، لَاحَتْ أَمَامَهُ فَجْأَةً فُرْصَةٌ أَخِيرَةٌ لِلْهَرَبِ مِنِ ابْنِ عِرْسٍ شادو، فَقَدْ رَأَى شَيْئًا سَيَمْنَحُهُ فُرْصَةً لِلنَّجَاةِ. لَمْ يَكُنْ بِإِمْكَانِهِ التَّأَكُّدُ مِنْ تِلْكَ الْفُرْصَةِ قَبْلَ أَنْ يُجَرِّبَ حَظَّهُ، وَحَتَّى حِينَهَا قَدْ يُفْلِتُ مِنْ خَطَرٍ لِيَصْطَدِمَ بِخَطَرٍ آخَرَ لَا يَقِلُّ عَنْهُ أَهَمِّيَّةً. فَقَدْ رَأَى ثرثار كُتْلَةً بُنِّيَّةً كَبِيرَةً بِالْقُرْبِ مِنْ قِمَّةِ شَجَرَةِ كَسْتَنَاءَ عَالِيَةٍ، فَتَوَجَّهَ إِلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ بِأَقْصَى سُرْعَتِهِ. فَمَاذَا كَانَتْ تِلْكَ الْكُتْلَةُ الْبُنِّيَّةُ الْكَبِيرَةُ؟ اتَّضَحَ أَنَّهُ الصَّقْرُ أَحْمَرُ الذَّيْلِ، الَّذِي كَانَ نَاعِسًا هُنَاكَ وَرَأْسُهُ مُتْدَلٍّ بَيْنَ كَتِفَيْهِ مُسْتَغْرِقًا فِي الْأَحْلَامِ.

وَالْعَجُوزُ أَحْمَرُ الذَّيْلِ مِنْ أَلَدِّ أَعْدَاءِ ثرثار. وَهُوَ يُحِبُّ السَّنَاجِبَ الْحَمْرَاءَ كَحُبِّ ابْنِ عِرْسٍ شادو لَهَا، وَإِنْ كَانَ قَلِيلًا مَا يُحَاوِلُ الْإِمْسَاكَ بِأَحَدِهَا؛ لِأَنَّ ثَمَّةَ أَطْعِمَةً أُخْرَى الْحُصُولُ عَلَيْهَا أَيْسَرُ كَثِيرًا. وَقَدْ أَفْلَتَ ثرثار مِنَ الْعَجُوزِ أَحْمَرِ الذَّيْلِ بِصُعُوبَةٍ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ وَكَانَ شَدِيدَ الْخَوْفِ مِنْهُ، وَلَكِنْ هَا هُوَ ذَا يَتَسَلَّقُ مُسْرِعًا أَعْلَى الشَّجَرَةِ ذَاتِهَا؛ حَيْثُ يَقْبَعُ أَحْمَرُ الذَّيلِ. فَقَدْ خَطَرَتْ بِبَالِهِ فِكْرَةٌ جَرِيئَةٌ لِلْغَايَةِ؛ فَقَدْ رَأَى عَلَى الْفَوْرِ أَنَّ أَحْمَرَ الذَّيْلِ كَانَ نَاعِسًا وَلَمْ يَرَ ثرثار عَلَى الْإِطْلَاقِ. وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحْمَرَ الذَّيْلِ سَيَوَدُّ الْتِهَامَ شادو مِثْلَمَا يَوَدُّ الْتِهَامَ ثرثار نَفْسِهِ، فَتَبَادَرَتْ إِلَى ذِهْنِهِ خُطَّةٌ شَدِيدَةُ الْجُرْأَةِ.

وَفَكَّرَ أَثْنَاءَ رَكْضِهِ مُتَسَلِّقًا الشَّجَرَةَ قَائِلًا: «قَدْ يُمْسِكُ بِي أَحْمَرُ الذَّيْلِ أَوْ شادو، وَلَكِنْ إِذَا كُلِّلَتْ خُطَّتِي بِالنَّجَاحِ فَلَنْ يُمْسِكَ بِي أَيٌّ مِنْهُمَا. وَعَلَى أَيِّ حَالٍ فَتِلْكَ هِيَ فُرْصَتِي الْأَخِيرَةُ لِلنَّجَاةِ بِحَقٍّ.»

فَتَسَلَّقَ الشَّجَرَةَ وَتَبِعَهُ شادو. وَكَانَ تَرْكِيزُ شادو مُنْصَبًّا عَلَى الْإِيقَاعِ بِثرثار؛ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَلْحَظْ وُجُودَ الْعَجُوزِ أَحْمَرِ الذَّيْلِ، وَهُوَ مَا أَمَّلَهُ ثرثار. فَرَاحَ ثرثار يَصْعَدُ لِأَعْلَى، مُتَخَطِّيًا أَحْمَرَ الذَّيْلِ، إِلَّا أَنَّهُ شَدَّ رِيشَةً مِنْ رِيشِ ذَيْلِهِ الطَّوِيلِ أَثْنَاءَ مُرُورِهِ، ثُمَّ رَكَضَ إِلَى أَعْلَى الشَّجَرَةِ، وَاسْتَجْمَعَ آخِرَ طَاقَتِهِ لِيَثِبَ إِلَى شَجَرَةِ تَنُّوبٍ قَرِيبَةٍ؛ حَيْثُ تَوَقَّفَ مُتَوَارِيًا خَلْفَ أَغْصَانِهَا الْكَثِيفَةِ لِيَسْتَرِيحَ وَيَرَى مَا سَيَحْدُثُ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ أَحْمَرَ الذَّيْلِ، عِنْدَمَا أَحَسَّ بِشَدَّةِ ذَيْلِهِ، اسْتَيْقَظَ مِنْ غَفْوَتِهِ فِي لَمْحِ الْبَصَرِ، وَبِالطَّبْعِ نَظَرَ إِلَى أَسْفَلَ لِيَرَى مَنْ تَجَرَّأَ وَشَدَّ ذَيْلَهُ. وَتَحْتَهُ مُبَاشَرَةً كَانَ شادو الَّذِي كَانَ قَدِ اكْتَشَفَ لِتَوِّهِ مَنْ يَقْبَعُ هُنَاكَ؛ فَأَطْلَقَ أَحْمَرُ الذَّيْلِ فَحِيحًا حَادًّا، وَانْتَصَبَ الرِّيشُ أَعْلَى رَأْسِهِ كَعَادَتِهِ حِينَمَا يَكُونُ غَاضِبًا. وَقَدْ كَانَ غَاضِبًا، بَلْ يَشْتَاطُ غَضَبًا.

فَتَسَمَّرَ شادو فِي مَكَانِهِ، ثُمَّ رَاوَغَهُ عَلَى الْفَوْرِ آوِيًا إِلَى الْجِهَةِ الْأُخْرَى مِنَ الشَّجَرَةِ. وَلَمْ يَكُنْ يُفَكِّرُ فِي ثرثار آنَذَاكَ؛ فَقَدْ تَبَدَّلَتِ الْأُمُورُ فِي لَحْظَةٍ تَبَدُّلًا كَبِيرًا؛ فَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَكُونَ هُوَ الصَّيَّادَ، صَارَ الْفَرِيسَةَ. وَحَامَ أَحْمَرُ الذَّيْلِ فِي الْهَوَاءِ فَوْقَهُ مُبَاشَرَةً، وَكَانَ كُلَّمَا أَبْصَرَ شادو، انْقَضَّ عَلَيْهِ بِمَخَالِبَ كَبِيرَةٍ قَاسِيَةٍ مُنْبَسِطَةٍ بُغْيَةَ الْإِمْسَاكِ بِهِ؛ فَرَاوَغَهُ شادو بِالدَّوَرَانِ حَوْلَ جِذْعِ الشَّجَرَةِ. وَكَانَ شادو يَشْعُرُ بِالْغَضَبِ أَكْثَرَ مِنْ شُعُورِهِ بِالْخَوْفِ؛ لِأَنَّ عَيْنَيْهِ الثَّاقِبَتَيْنِ أَبْصَرَتَا فُتْحَةً صَغِيرَةً فِي غُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِ شَجَرَةِ كَسْتَنَاءَ، وَعَلِمَ أَنَّهُ مَا إِنْ يَدْخُلْ فِيهِ، فَلَنْ يَكُونَ ثَمَّةَ دَاعٍ لِلْخَوْفِ. وَلَكِنَّهُ كَانَ غَاضِبًا جِدًّا مِنْ فِكْرَةِ خِدَاعِهِ وَحِرْمَانِهِ مِنَ الْعَشَاءِ الَّذِي كَانَ أَمْرًا مَحْسُومًا مُنْذُ دَقَائِقَ قَلِيلَةٍ؛ لِذَا أَطْلَقَ صَيْحَةً غَاضِبَةً فِي وَجْهِ الْعَجُوزِ أَحْمَرِ الذَّيْلِ، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ فُرْصَتَهُ لِلنَّجَاةِ، هُرِعَ إِلَى الْفُتْحَةِ الصَّغِيرَةِ وَدَخَلَهَا بِسُرْعَةٍ، فِي اللَّحْظَةِ الْحَاسِمَةِ.

أَمَّا ثرثار، الَّذِي كَانَ يُتَابِعُ الْمَشْهَدَ مِنْ شَجَرَةِ التَّنُّوبِ، فَقَدْ تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ؛ فَقَدْ رَأَى الصَّقْرَ أَحْمَرَ الذَّيْلِ يَسْتَقِرُّ عَلَى قِمَّةِ شَجَرَةٍ عَالِيَةٍ يُمْكِنُهُ مِنْهَا مُرَاقَبَةُ تِلْكَ الْفُتْحَةِ الَّتِي اخْتَفَى فِيهَا شادو، وَعَلِمَ أَنَّ شادو سَيَمْكُثُ طَوِيلًا قَبْلَ أَنْ يَجْرُؤَ عَلَى أَنْ يُطِلَّ خَارِجًا وَلَوْ بِأَنْفِهِ. ثُمَّ إِنَّهُ مَا إِنِ الْتَقَطَ أَنْفَاسَهُ حَتَّى تَسَلَّلَ مُبْتَعِدًا بِهُدُوءٍ بَالِغٍ عَبْرَ قِمَمِ الْأَشْجَارِ حَتَّى تَأَكَّدَ أَنَّ أَحْمَرَ الذَّيْلِ لَا يَسْتَطِيعُ رُؤْيَتَهُ. ثُمَّ انْطَلَقَ مُسْرِعًا؛ فَقَدْ أَرَادَ الِابْتِعَادَ عَنْ شادو قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ.

الفصل الثالث

ثرثار يُخْبِرُ طَائِرَ السِّنْدِيَانِ سامي عَنِ ابْنِ عِرْسٍ شادو

انْطَلَقَ ثرثار لَا يَلْوِي عَلَى شَيْءٍ عَبْرَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَكَانَ يَسِيرُ بِلَا هُدًى. وَلَمْ تَشْغَلْ بَالَهُ سِوَى فِكْرَةٍ وَاحِدَةٍ؛ أَلَا وَهِيَ الِابْتِعَادُ عَنْ شادو قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ. وَكَانَ كُلَّمَا خَطَرَ شادو بِبَالِهِ سَرَتِ الْقُشَعْرِيرَةُ فِي جَسَدِهِ كُلِّهِ.

وَتَعَالَى صَوْتٌ مِنْ شَجَرَةِ صَنَوْبَرٍ مَرَّ بِهَا قَائِلًا: «يَبْدُو لِي أَنَّكَ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِكَ.»

وَقَدْ عَرَفَ ثرثار ذَلِكَ الصَّوْتَ دُونَ النَّظَرِ لِلتَّحَقُّقِ مِنْ هُوِيَّةِ صَاحِبِهِ؛ فَجَمِيعُ مَنْ فِي الْغَابَةِ يَعْرِفُونَ ذَاكَ الصَّوْتَ؛ فَقَدْ كَانَ صَوْتَ طَائِرِ السِّنْدِيَانِ سامي.

وَصَاحَ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي فِي اسْتِهْزَاءٍ: «يَبْدُو لِي وَكَأَنَّكَ كُنْتَ تَهْرُبُ مِنْ أَحَدٍ مَا.»

رَغِبَ ثرثار فِي التَّوَقُّفِ وَافْتِعَالِ مُشَاجَرَةٍ مَعَ سامي، كَعَادَتِهِ مَتَى الْتَقَى بِهِ، وَلَكِنَّ الْخَوْفَ مِنْ شادو كَانَ مَا زَالَ يَتَمَلَّكُهُ.

فَرَدَّ بِصَوْتٍ خَفِيضٍ لِلْغَايَةِ: «نَـ... نَـ... نَعَمْ.»

بَدَا سامي وَكَأَنَّهُ يَظُنُّ أَنَّهُ أَخْطَأَ السَّمْعَ؛ فَهُوَ لَمْ يَرَ ثرثار يُقِرُّ بِخَوْفِهِ قَطُّ، فَثرثار — كَمَا تَعْلَمُونَ — مُخْتَالٌ كَبِيرٌ. لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَا أَخَافَهُ هَكَذَا أَمْرًا خَطِيرًا جِدًّا.

فَسَأَلَهُ سامي بِحِدَّةٍ: «مَا الْأَمْرُ؟ لَطَالَمَا عَرَفْتُ أَنَّكَ جَبَانٌ، وَلَكِنَّهَا أَوَّلُ مَرَّةٍ أَرَاكَ تُقِرُّ بِذَلِكَ. مِمَّنْ تَهْرُبُ؟»

فَأَجَابَهُ ثرثار بِصَوْتٍ مَا زَالَ خَفِيضًا جِدًّا، كَأَنَّهُ خَائِفٌ مِنْ أَنْ يَسْمَعَهُ أَحَدٌ: «ابْنِ عِرْسٍ شادو.» وَأَرْدَفَ: «لَقَدْ عَادَ ابْنُ عِرْسٍ شادو إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَأَفْلَتُّ مِنْهُ بِصُعُوبَةٍ بَالِغَةٍ!»

فَصَاحَ سامي: «أُوهْ! إِنَّهُ لَأَمْرٌ يَسْتَدْعِي الِاهْتِمَامَ. كُنْتُ أَظُنُّ شادو بِالْأَعْلَى فِي الْمَرْعَى الْقَدِيمِ. إِذَا كَانَ قَدْ عَادَ لِلْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ أَهْلُ الْغَابَةِ بِالْأَمْرِ. أَيْنَ هُوَ الْآنَ؟»

تَوَقَّفَ ثرثار وَحَكَى لِسامي كُلَّ مَا يَتَعَلَّقُ بِفِرَارِهِ الصَّعْبِ وَكَيْفَ تَرَكَ شادو فِي فُتْحَةٍ صَغِيرَةٍ دَاخِلَ شَجَرَةِ كَسْتَنَاءَ وَالصَّقْرُ أَحْمَرُ الذَّيْلِ يَتَرَقَّبُ خُرُوجَهُ. فَبَرَقَتْ عَيْنَا سامي عِنْدَمَا حَكَى ثرثار كَيْفَ شَدَّ ذَيْلَ الْعَجُوزِ أَحْمَرِ الذَّيْلِ. وَأَنْهَى ثرثار حَدِيثَهُ بِابْتِسَامَةٍ صَغِيرَةٍ وَاهِنَةٍ قَائِلًا: «وَهُوَ الْآنَ لَا يَدْرِي مَنْ فَعَلَهَا، يَظُنُّ أَنَّهُ كَانَ شادو.»

ضَحِكَ سامي قَائِلًا: «هَا هَا هَا! لَيْتَنِي كُنْتُ هُنَاكَ لِأَرَى ذَلِكَ الْمَشْهَدَ.»

ثُمَّ كَسَتِ الْجِدِّيَّةُ وَجْهَهُ بَغْتَةً، وَقَالَ: «قَطْعًا لَا بُدَّ مِنْ إِخْبَارِ الْآخَرِينَ بِعَوْدَةِ شادو إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ لِكَيْ يَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ؛ فَإِذَا أَمْسَكَ بِهِمْ، فَلْيَتَحَمَّلُوا هُمْ مَسْئُولِيَّةَ ذَلِكَ. أَظُنُّنِي سَأَذْهَبُ لِنَشْرِ الْأَنْبَاءِ.» فَسامي، عَلَى كُلِّ لُؤْمِهِ، يَتَمَتَّعُ بِجَانِبٍ خَيِّرٍ — كَمَا هُوَ حَالُ الْجَمِيعِ — وَهُوَ مُولَعٌ بِنَقْلِ الْأَنْبَاءِ الْمُهِمَّةِ.

فَقَالَ ثرثار مُتَرَدِّدًا: «أَ... لَيْتَكَ تَذْهَبُ أَوَّلًا لِإِخْبَارِ ابْنِ عَمِّي، السِّنْجَابِ الرَّمَادِيِّ جاك السَّعِيدِ.»

فَمَالَ سامي عَلَى ثرثار وَنَظَرَ إِلَيْهِ بِحِدَّةٍ قَائِلًا: «مَا كُنْتُ أَظُنُّكَ وَجاك السَّعِيدَ صَدِيقَيْنِ. أَرَاكُمَا دَائِمَيِ التَّشَاجُرِ.»

بَدَا ثرثار حَيْرَانَ بَعْضَ الشَّيْءِ، وَلَكِنَّهُ يَتَمَتَّعُ بِسُرْعَةِ بَدِيهَةٍ فَائِقَةٍ، فَأَسْرَعَ بِالرَّدِّ قَائِلًا: «هَذَا هُوَ بَيْتُ الْقَصِيدِ، هَذَا هُوَ بَيْتُ الْقَصِيدِ! إِذَا أَصَابَ جاك السَّعِيدَ سُوءٌ، فَلَنْ أَجِدَهُ لِأَتَشَاجَرَ مَعَهُ، وَكَمْ أَجِدُ مِنْ لَذَّةٍ فِي إِثَارَةِ غَضَبِهِ!»

وَبِالطَّبْعِ فَإِنَّ السَّبَبَ الْحَقِيقِيَّ وَرَاءَ رَغْبَةِ ثرثار فِي تَحْذِيرِ جاك السَّعِيدِ هُوَ أَنَّهُ كَانَ فِي أَعْمَاقِهِ خَجِلًا مِنَ الْفِكْرَةِ الْكَرِيهَةِ الَّتِي خَطَرَتْ لَهُ؛ وَهِيَ أَنْ يَقُودَ شادو إِلَى بَيْتِ جاك السَّعِيدِ؛ حَتَّى يَتَمَكَّنَ هُوَ نَفْسُهُ مِنَ الْهَرَبِ. وَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ فِكْرَةً كَرِيهَةً وَجَبَانَةً، وَقَدْ أَخْجَلَهُ حَقًّا أَنْ تَخْطُرَ مِثْلُ تِلْكَ الْفِكْرَةِ عَلَى بَالِهِ أَصْلًا. وَرَأَى فِي ذَلِكَ الْحِينِ أَنَّهُ إِذَا تَمَكَّنَ مِنْ تَقَدِيمِ أَيِّ شَيْءٍ لِجاك السَّعِيدِ، فَسَيَصِيرُ أَفْضَلَ حَالًا.

وَقَدْ وَعَدَهُ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي بِالتَّوَجُّهِ إِلَى جاك السَّعِيدِ مُبَاشَرَةً وَإِنْذَارِهِ بِعَوْدَةِ شادو إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، ثُمَّ حَلَّقَ مُبْتَعِدًا رَافِعًا عَقِيرَتَهُ بِالْأَنْبَاءِ أَثْنَاءَ تَحْلِيقِهِ؛ حَتَّى

يتَسَنَّى لِجَمِيعِ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ الصِّغَارِ الْعِلْمُ بِهَا. فَأَصْغَى ثرثار إِلَيْهِ بِضْعَ دَقَائِقَ ثُمَّ انْطَلَقَ فِي طَرِيقِهِ.

وَغَمْغَمَ قَائِلًا: «أَيْنَ أَذْهَبُ؟ أَيْنَ أَذْهَبُ؟ لَا أَجْرُؤُ عَلَى الْبَقَاءِ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ؛ فَالْآنَ شادو لَنْ يَهْدَأَ لَهُ بَالٌ حَتَّى يُمْسِكَ بِي.»

الفصل الرابع

ثرثار يُغَادِرُ الْغَابَةَ الْخَضْرَاءَ

كَانَ ثرثار فِي وَرْطَةٍ كَبِيرَةٍ، وَرْطَةٍ كَبِيرَةٍ حَقًّا، وَلَا شَكَّ فِي ذَلِكَ؛ فَظَلَّ يُرَدِّدُ لِنَفْسِهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى: «يَا لَلْهَوْلِ! يَا لَلْهَوْلِ! لَوْ أَنِّي أَمْسَكْتُ لِسَانِي! لَوْ أَنِّي أَمْسَكْتُ لِسَانِي!» بَيْنَمَا كَانَ يُسْرِعُ الْخُطَى عَبْرَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. بَدَأَ ثرثار يَعِي لِتَوِّهِ مَدَى الْمَتَاعِبِ الَّتِي قَدْ يُوقِعُ اللِّسَانُ السَّلِيطُ صَاحِبَهُ فِيهَا. فَالْجَوُّ بَارِدٌ عَلَى أَعْتَابِ الشِّتَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ ثرثار يَجْرُؤُ عَلَى الْبَقَاءِ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ حَيْثُ اتَّخَذَ بَيْتَهُ دَوْمًا. وَكَانَتْ مَخَازِنُهُ مُمْتَلِئَةً بِالْجَوْزِ وَالْحُبُوبِ وَالذُّرَةِ، مِمَّا يَكْفِي وَيَفِيضُ لِبَقَائِهِ مُرْتَاحًا طَوَالَ الشِّتَاءِ، وَالْآنَ صَارَ عَلَيْهِ أَنْ يُدِيرَ ظَهْرَهُ لِهَذَا كُلِّهِ وَيَذْهَبَ إِلَى حَيْثُ لَا يَدْرِي، وَكُلُّ ذَلِكَ بِسَبَبِ مِزَاجِهِ اللَّئِيمِ وَلِسَانِهِ السَّلِيطِ.

فَلَوْ لَمْ يَنْعَتِ الرَّاكُونَ بوبي بِالْأَلْفَاظِ الْبَذِيئَةِ بِأَعْلَى صَوْتِهِ ذَاكَ الصَّبَاحَ، رُبَّمَا مَا كَانَ شادو لِيَجِدَهُ. وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ شادو يَتَمَتَّعُ بِذَاكِرَةٍ قَوِيَّةٍ، وَأَنَّهُ لَنْ يَنْسَى أَبَدًا الْخُدْعَةَ الَّتِي أَفْلَتَ بِهَا ثرثار مِنْهُ؛ لِذَا فَالسَّبِيلُ الْوَحِيدُ لِكَيْ يَنْعَمَ ثرثار بِأَقَلِّ قَدْرٍ مِنَ السَّكِينَةِ هُوَ أَنْ يَرْحَلَ عَنِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ طَوَالَ فَتْرَةِ بَقَاءِ شادو فِيهَا. ارْتَجَفَ ثرثار دَاخِلَ فِرَائِهِ الْأَحْمَرِ الدَّافِئِ عِنْدَمَا فَكَّرَ فِي الشِّتَاءِ الطَّوِيلِ الْبَارِدِ وَفِي صُعُوبَةِ الْحُصُولِ عَلَى غِذَاءٍ كَافٍ. فَهَلْ سَبَقَ لِغَيْرِهِ أَنْ وَقَعَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَأْزِقِ الرَّهِيبِ؟

وَفِي ذَلِكَ الْحِينِ بَلَغَ أَطْرَافَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. فَجَلَسَ لِيَسْتَرِيحَ أَعْلَى شَجَرَةٍ أَمْكَنَهُ مِنْهَا أَنْ يُطِلَّ عَلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ. وَبَعِيدًا فِي الْأُفُقِ رَأَى التِّلَالَ الْأُرْجُوَانِيَّةَ الَّتِي يَأْوِي قُرْصُ الشَّمْسِ الْأَحْمَرُ الْمُسْتَدِيرُ الْمَرِحُ إِلَى فِرَاشِهِ وَرَاءَهَا كُلَّ لَيْلَةٍ. وَرَأَى الْجِدَارَ الْحَجَرِيَّ الْقَدِيمَ الَّذِي يَفْصِلُ حَقْلَ الذُّرَةِ الْخَاصَّ بِالْمُزَارِعِ براون عَنِ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ. وَرَأَى

مَنْزِلَ الْمُزَارِعِ براون وَمَخْزَنَ الْحُبُوبِ الْخَاصَّ بِهِ، وَعَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُمَا كَانَ الْبُسْتَانُ الْقَدِيمُ الَّذِي قَضَى فِيهِ الْخُلْدُ جوني الصَّيْفَ مَعَ زَوْجَتِهِ بولي وَأَطْفَالِهِمَا. كَانَ يَحْفَظُ ذَلِكَ الْجِدَارَ الْحَجَرِيَّ الْقَدِيمَ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ، وَكَثِيرًا مَا تَرَدَّدَ عَلَى الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ؛ فَهُنَاكَ سَرَقَ بَيْضَ نَقَّارِ الْخَشَبِ درامر. وَابْتَسَمَ عِنْدَمَا خَطَرَ بِبَالِهِ ذَلِكَ الْبَيْضُ وَكَيْفَ سَرَقَهُ، ثُمَّ ارْتَجَفَ عِنْدَمَا تَذَكَّرَ كَيْفَ أُمْسِكَ بِهِ فِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ، وَكَمْ كَانَ مِنْقَارَا السَّيِّدِ وَالسَّيِّدَةِ درامر حَادَّيْنِ.

وَلَكِنَّ كُلَّ ذَلِكَ صَارَ مِنَ الْمَاضِي، وَالتَّفْكِيرُ فِيهِ لَنْ يُجْدِيَهُ نَفْعًا الْآنَ. وَكَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَصَرَّفَ فَوْرًا؛ فَلَعَلَّهُ يَجِدُ مَكَانًا لِلْعَيْشِ فِي الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ، وَهُنَاكَ احْتِمَالٌ — مُجَرَّدُ احْتِمَالٍ — أَنْ يَجِدَ مَا يَكْفِي مِنْ حُبُوبِ الذُّرَةِ الْمُبَعْثَرَةِ عَلَى أَرْضِ حَقْلِ الذُّرَةِ لِإِمْدَادِهِ بِمَخْزُونِ غِذَاءٍ، إِنْ عَمِلَ بِكَدٍّ وَهِمَّةٍ بَالِغَيْنِ. وعَلَى أَيِّ حَالٍ، فَسَوْفَ يُلْقِي نَظْرَةً. وَمِنْ ثَمَّ أَسْرَعَ بِالنُّزُولِ مِنْ عَلَى الشَّجَرَةِ وَرَكَضَ عَلَى امْتِدَادِ الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ. وَبَدَأَ يَشْعُرُ بِتَحَسُّنٍ بَيْنَمَا سَارَ بِخِفَّةٍ عَلَى طُولِ الْجِدَارِ، مُسْتَرِقًا النَّظَرَ دَاخِلَ كُلِّ جُحْرٍ، وَأَخَذَ يَقْفِزُ بَيْنَ الْأَحْجَارِ. فَقَدْ بَدَا بِالْفِعْلِ وَكَأَنَّهُ سَيَجِدُ مَأْوًى مُرِيحًا فِي مَكَانٍ مَا هُنَاكَ. ثُمَّ تَذَكَّرَ شَيْئًا جَعَلَ قَلْبَهُ يَخْفِقُ بِقُوَّةٍ؛ فَقَدْ تَذَكَّرَ أَنَّهُ رَأَى شادو يَتَفَقَّدُ ذَلِكَ الْجِدَارَ بِالذَّاتِ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ. وَمِنَ الْمُرَجَّحِ أَنْ يُعِيدَ الْكَرَّةَ؛ لِأَنَّ الْجِدَارَ قَرِيبٌ جِدًّا مِنَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. كَلَّا، لَنْ يُجْدِيَ الْجِدَارُ الْحَجَرِيُّ الْقَدِيمُ نَفْعًا.

وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ جَاءَ الْأَرْنَبُ بيتر، وَلَاحَظَ عَلَى الْفَوْرِ أَنَّ ثرثار لَمْ يَكُنْ عَلَى مَا يُرَامُ، وَأَرَادَ أَنْ يَعْرِفَ مَا بِهِ؛ فَأَخْبَرَهُ ثرثار؛ فَقَدْ أَحَسَّ أَنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى إِطْلَاعِ أَحَدٍ مَا بِمَا حَدَثَ. بَدَا بيتر مُسْتَغْرِقًا فِي التَّفْكِيرِ، وَحَكَّ أُذُنَهُ الْيُسْرَى الطَّوِيلَةَ بِقَدَمِهِ الْخَلْفِيَّةِ الْيُمْنَى الطَّوِيلَةِ.

ثُمَّ قَالَ: «أَتَعْلَمُ؟ يُوجَدُ جِدَارٌ حَجَرِيٌّ قَدِيمٌ آخَرُ عِنْدَ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ، وَهُوَ قَرِيبٌ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ مِنْ مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ براون، وَكَثِيرًا مَا تَذْهَبُ الْقِطَّةُ السَّوْدَاءُ بوسي لِلصَّيْدِ هُنَاكَ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ أَنْ تَكُونَ ذَكِيًّا بِمَا يَكْفِي لِلِابْتِعَادِ عَنْ بَرَاثِنِهَا.»

تَعَجَّبَ ثرثار بِازْدِرَاءٍ قَائِلًا: «لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ! لَمْ يَسْبِقْ لِي أَنْ قَابَلْتُ قِطًّا أَخَافَنِي! أَظُنُّ أَنِّي سَأَذْهَبُ وَأُلْقِي نَظْرَةً عَلَى ذَلِكَ الْجِدَارِ الْقَدِيمِ أَيُّهَا الْأَرْنَبُ بيتر.»

فَقَالَ بيتر: «سَآتِي مَعَكَ.» وَانْطَلَقَا مَعًا.

الفصل الخامس

ثرثار يَجِدُ بَيْتًا

عِنْدَمَا تَفْسُدُ خُطَطُكَ وَتَتَشَتَّتُ،
اعْقِدِ الْعَزْمَ عَلَى إِيجَادِ الْمَخْرَجِ.

اتَّجَهَ الْأَرْنَبُ بيتر مُبَاشَرَةً إِلَى الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ الْقَائِمِ عَلَى أَطْرَافِ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ. أَخَذَ يَعْدُو بِأَقْصَى سُرْعَةٍ بِحَيْثُ لَمْ يَسْتَغْرِقْ بُلُوغُهُ الْجِدَارَ وَقْتًا طَوِيلًا. وَلَكِنَّ السِّنْجَابَ الْأَحْمَرَ ثرثار لَا يَشْعُرُ بِأَمَانٍ حَقِيقِيٍّ عَلَى الْأَرْضِ أَبَدًا مَا لَمْ يَتَوَافَرْ فِي مُتَنَاوَلِهِ شَيْءٌ يُمْكِنُهُ تَسَلُّقُهُ؛ لِذَا سَلَكَ طَرِيقًا طَوِيلًا عَبْرَ السِّيَاجِ ذِي الْقُضْبَانِ. وَلَطَالَمَا أَحَبَّ الرَّكْضَ فَوْقَ الْأَسْوِجَةِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِيُضَايِقَهُ الْبَتَّةَ هَذَا الصَّبَاحَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ. فَبَدَا لَهُ أَنَّهُ لَنْ يَصِلَ أَبَدًا. وَلَكِنَّهُ وَصَلَ بِالطَّبْعِ.

وَلَدَى وُصُولِهِ، وَجَدَ الْأَرْنَبَ بيتر جَالِسًا عَلَى عَتَبَةِ بَابِ الْخُلْدِ جوني، مُحْدِقًا فِي رُوَاقِهِ الطَّوِيلِ. وَبَيْنَمَا كَانَ ثرثار يَتَّجِهُ نَحْوَهُ بِأَنْفَاسٍ لَاهِثَةٍ قَالَ لَهُ بيتر: «إِنَّهُمَا نَائِمَانِ. لَقَدْ طَرَقْتُ الْبَابَ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى بِلَا جَدْوَى؛ فَهُمَا نَائِمَانِ، وَسَيَظَلَّانِ نَائِمَيْنِ حَتَّى مَجِيءِ الرَّبِيعِ. لَا أَفْهَمُ ذَلِكَ مُطْلَقًا. نَعَمْ، لَا أَفْهَمُ كَيْفَ يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَرْغَبَ فِي أَنْ يُفَوِّتَ عَلَى نَفْسِهِ هَذَا الطَّقْسَ الْبَارِدَ الرَّائِعَ.»

هَزَّ بيتر رَأْسَهُ فِي حَيرَةٍ ثُمَّ تَابَعَ التَّحْدِيقَ فِي الرُّوَاقِ الْخَالِي الطَّوِيلِ. وَبِالطَّبْعِ فَقَدْ كَانَ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْخُلْدِ جوني وَزَوْجَتِهِ بولي، اللَّذَيْنِ خَلَدَا إِلَى النَّوْمِ لِحِينِ انْتِهَاءِ الشِّتَاءِ. فَلَطَالَمَا حَيَّرَتْ مَسْأَلَةُ النَّوْمِ تِلْكَ بيتر؛ فَقَدْ بَدَتْ لَهُ مَضْيَعَةً رَهِيبَةً لِلْوَقْتِ. وَلَكِنَّ ثرثار كَانَ مَشْغُولَ الْبَالِ إِلَى حَدٍّ مَنَعَهُ مِنْ إِضَاعَةِ الْوَقْتِ فِي التَّعَجُّبِ مِنْ نَوْمِ الْبَعْضِ طَوَالَ

فَتْرَةِ الشِّتَاءِ. لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مُمْكِنًا بِالنِّسْبَةِ لَهُ، وَالْآنَ بَعْدَ أَنْ أُقْصِيَ بَعِيدًا عَنْ دَارِهِ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ بِسَبَبِ خَوْفِهِ مِنِ ابْنِ عِرْسٍ شادو، لَمْ يَسْتَطِعْ إِهْدَارَ دَقِيقَةٍ وَاحِدَةٍ؛ فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَجِدَ بَيْتًا جَدِيدًا ثُمَّ يَقْضِيَ كُلَّ دَقِيقَةٍ مِنَ النَّهَارِ فِي جَمْعِ مَخْزُونٍ جَدِيدٍ مِنَ الْغِذَاءِ مِنْ أَجْلِ الْأَيَّامِ الَّتِي يَكْسُو فِيهَا الْجَلِيدُ كُلَّ شَيْءٍ.

وَرَاحَ يَجْرِي مِنْ أَعْلَى الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ إِلَى أَسْفَلِهِ، بَاحِثًا عَنْ مَكَانٍ يُمْكِنُ أَنْ يَتَّخِذَهُ بَيْتًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ مَا يُنَاسِبُهُ؛ فَهُوَ كَمَا تَعْلَمُونَ يُحَبِّذُ السُّكْنَى فِي الْأَشْجَارِ؛ فَهُوَ لَيْسَ كَالسِّنْجَابِ الْمُخَطَّطِ الَّذِي يَعِيشُ عَلَى الْأَرْضِ. مِسْكِينٌ ثرثار! لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَتَخَيَّلَ كَيْفَ يُمْكِنُ لَهُ الْعَيْشُ فِي الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ؛ فَجَلَسَ أَعْلَى حَجَرٍ كَبِيرٍ لِكَيْ يَسْتَرِيحَ وَيَتَدَبَّرَ الْأَمْرَ. كَانَ مُحْبَطًا، وَلَمْ تَبْدُ لَهُ الْحَيَاةُ تَسْتَحِقُّ الْعَيْشَ آنَذَاكَ. وَأَحَسَّ كَأَنَّ قَلْبَهُ سَقَطَ فِي أَخْمَصِ قَدَمَيْهِ. وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَبْصَرَتْ عَيْنَاهُ شَيْئًا جَعَلَ قَلْبَهُ يَثِبُ وَثْبَةً كَبِيرَةً عَائِدًا إِلَى حَيْثُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ، وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ أَتَى الْأَرْنَبُ بيتر يَثِبُ عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ.

سَأَلَهُ بيتر: «أَلَمْ تَجِدْ بَيْتًا جَدِيدًا بَعْدُ؟»

رَدَّ عَلَيْهِ ثرثار قَائِلًا: «بَلَى، أَظُنُّنِي وَجَدْتُهُ.»

فَقَالَ بيتر: «مَرْحَى! كُنْتُ مُتَأَكِّدًا مِنْ عُثُورِكَ عَلَيْهِ هُنَا. أَيْنَ هُوَ؟»

فَتَحَ ثرثار فَمَهُ لِيُخْبِرَ بيتر ثُمَّ أَغْلَقَهُ فَجْأَةً؛ فَقَدْ تَذَكَّرَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ مَدَى صُعُوبَةِ أَنْ يَكْتُمَ بيتر سِرًّا؛ فَهُوَ إِنْ أَخْبَرَ بيتر، فَسَيُخْبِرُ بيتر شَخْصًا آخَرَ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ كَطَبْعِهِ؛ وَمِنْ ثَمَّ يُمْكِنُ أَنْ يَصِلَ الْخَبَرُ إِلَى شادو.

فَقَالَ ثرثار: «لَنْ أُخْبِرَكَ الْآنَ أَيُّهَا الْأَرْنَبُ بيتر. فَأَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أُطْلِعَ أَحَدًا عَلَى مَكَانِهِ قَبْلَ أَنْ أَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ سَيُلَائِمُنِي.» ثُمَّ أَرْدَفَ، بَعْدَمَا ارْتَأَى مَدَى الْإِحْبَاطِ الَّذِي أَصَابَ بيتر: «وَلَكِنِّي سَأُخْبِرُكَ بِالْآتِي: سَوْفَ أَعِيشُ فِي هَذَا الْمَكَانِ تَحْدِيدًا.»

أَشْرَقَ وَجْهُ بيتر فَرَحًا عَلَى الْفَوْرِ. فَقَدْ ظَنَّ أَنَّ ثرثار قَصَدَ بِالتَّأْكِيدِ أَنَّهُ وَجَدَ فُتْحَةً فِي الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ، وَكَانَ وَاثِقًا تَمَامَ الثِّقَةِ مِنْ أَنَّهُ يُمْكِنُهُ إِيجَادُهَا إِذَا وَاصَلَ الْبَحْثَ؛ فَكَرَّرَ قَوْلَهُ: «مَرْحَى! سَآتِي لِزِيَارَتِكَ كَثِيرًا. وَلَكِنِ احْذَرِ الْقِطَّةَ السَّوْدَاءَ بوسي؛ فَمَخَالِبُهَا حَادَّةٌ جِدًّا. أَظُنُّنِي سَأَعُودُ إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ الْآنَ.»

فَنَادَاهُ ثرثار قَائِلًا: «لَا تُخْبِرْ أَحَدًا بِمَكَانِي.»

الفصل السادس

الْأَرْنَبُ بيتر يَسْتَمِعُ إِلَى صَوْتِ الْبَاطِلِ

لَمْ يَكُنِ الْأَرْنَبُ بيتر مُنْصِفًا. نَعَمْ، لَمْ يَكُنْ بيتر مُنْصِفًا؛ فَالْأَشْخَاصُ الشَّدِيدُو الْفُضُولِ فِيمَا يَخُصُّ شُئُونَ الْآخَرِينَ نَادِرًا مَا يَكُونُونَ مُنْصِفِينَ. وَهُوَ لَمْ يَقْصِدْ أَلَّا يَكُونَ مُنْصِفًا. كَلَّا! لَمْ يَقْصِدْ بيتر أَلَّا يَكُونَ مُنْصِفًا؛ فَعِنْدَمَا تَرَكَ السِّنْجَابَ الْأَحْمَرَ ثرثار جَالِسًا عَلَى الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ عَلَى أَطْرَافِ بُسْتَانِ الْمُزَارِعِ براون الْقَدِيمِ، كَانَ يَنْتَوِي الْعَوْدَةَ إِلَى دَارِهِ فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ دُونَ مُوَارَبَةٍ. وَكَانَ مُحْبَطًا بَعْضَ الشَّيْءِ؛ لِأَنَّ ثرثار لَمْ يُطْلِعْهُ عَلَى مَكَانِ بَيْتِهِ الْجَدِيدِ تَحْدِيدًا. لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ مُهِمًّا فِي الْوَاقِعِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَعْرِفَ فَحَسْبُ، لَيْسَ أَكْثَرَ. وَكُلَّمَا قَفَزَ مُبْتَعِدًا عَنِ الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ، بَدَتْ تِلْكَ الرَّغْبَةُ فِي مَعْرِفَةِ مَكَانِ بَيْتِ ثرثار بِالضَّبْطِ تَتَنَامَى؛ فَتَوَقَّفَ بيتر فِي مَكَانِهِ وَنَظَرَ إِلَى الْوَرَاءِ. لَمْ يَكُنْ بِإِمْكَانِهِ رُؤْيَةُ ثرثار وَقْتَهَا؛ إِذْ وَارَتْهُ الشُّجَيْرَاتُ. وَإِنْ كَانَ لَا يُمْكِنُهُ رُؤْيَةُ ثرثار، فَبِالتَّأْكِيدِ لَنْ يَتَمَكَّنَ ثرثار مِنْ رُؤْيَتِهِ.

جَلَسَ بيتر وَبَدَأَ يَجْذِبُ شُعَيْرَاتِ شَارِبِهِ كَعَادَتِهِ حِينَمَا يُحَاوِلُ اتِّخَاذَ قَرَارٍ مَا. فَقَدْ بَدَا وَكَأَنَّ صَوْتَيْنِ خَفِيضَيْنِ كَانَا يَقْتَتِلَانِ بِدَاخِلِهِ. قَالَ أَحَدُهُمَا: «امْضِ إِلَى بَيْتِكَ كَأَيِّ صَدِيقٍ صَالِحٍ وَلَا تَتَدَخَّلْ فِيمَا لَا يَعْنِيكَ.» أَمَّا الْآخَرُ فَقَالَ: «تَسَلَّلْ عَائِدًا إِلَى الْجِدَارِ الْقَدِيمِ وَرَاقِبْ ثرثار حَتَّى تَعْرِفَ مَكَانَ بَيْتِهِ الْجَدِيدِ بِالضَّبْطِ؛ فَهُوَ لَنْ يَعْرِفَ شَيْئًا عَنِ الْأَمْرِ أَبَدًا، وَلَا ضَرَرَ فِي ذَلِكَ.» وَكَانَ ذَلِكَ الصَّوْتُ أَعْلَى مِنَ الْأَوَّلِ، وَقَدْ رَاقَ لِبيتر.

فَقَالَ: «أَظُنُّنِي سَأَفْعَلُ ذَلِكَ.» وَدُونَ انْتِظَارِ رَأْيِ الصَّوْتِ الْأَوَّلِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، اسْتَدَارَ وَعَادَ عَلَى أَطْرَافِ أَصَابِعِهِ بِحَذَرٍ وَهُدُوءٍ بَالِغَيْنِ إِلَى الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ. وَعَلَى مَقْرَبَةٍ مِنْهُ كَانَتْ ثَمَّةَ شُجَيْرَةٌ صَغِيرَةٌ كَثِيفَةٌ. وَبَدَا لِبيتر وَكَأَنَّهَا نَمَتْ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ خُصُوصًا

لِكَيْ تُوَفِّرَ لَهُ مَخْبَأً، فَزَحَفَ أَسْفَلَهَا وَانْبَطَحَ عَلَى الْأَرْضِ؛ فَتَسَنَّتْ لَهُ رُؤْيَةُ امْتِدَادِ الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ مِنَ النَّاحِيَتَيْنِ. وَكَانَ ثرثار جَالِسًا حَيْثُ تَرَكَهُ تَمَامًا، وَيَنْظُرُ فِي الِاتِّجَاهِ الَّذِي سَلَكَهُ بيتر عِنْدَمَا وَدَّعَهُ. فَضَحِكَ بيتر لِنَفْسِهِ مُفَكِّرًا: «إِنَّهُ يَنْتَظِرُ لِلتَّأَكُّدِ مِنْ رَحِيلِي قَبْلَ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى بَيْتِهِ الْجَدِيدِ. سَأَخْدَعُهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ.»

فَقَالَ الصَّوْتُ الْخَافِتُ: «يَنْبَغِي أَنْ تَخْجَلَ مِنْ نَفْسِكَ أَيُّهَا الْأَرْنَبُ بيتر، لَيْسَ هَذَا مِنْ شَأْنِكَ.»

أَمَّا الصَّوْتُ الْخَفِيضُ الْآخَرُ بِدَاخِلِهِ فَقَالَ: «أَنْتَ لَا تَتَسَبَّبُ فِي أَيِّ ضَرَرٍ؛ فَثرثار لَا يَحِقُّ لَهُ أَنْ يُحَاوِلَ الِاحْتِفَاظَ بِمَكَانِ بَيْتِهِ الْجَدِيدِ سِرًّا، عَلَى أَيِّ حَالٍ.» وَبِسَبَبِ فُضُولِهِ الْكَرِيهِ، رَاقَ هَذَا الصَّوْتُ لِبيتر أَكْثَرَ وَاسْتَمَعَ إِلَيْهِ، وَبَعْدَ بُرْهَةٍ يَئِسَ الصَّوْتُ الْأَوَّلُ وَتَوَقَّفَ.

جَلَسَ ثرثار فِي مَكَانِهِ وَقْتًا بَدَا لِبيتر أَنَّهُ طَوِيلٌ جِدًّا، وَلَكِنَّهُ فِي النِّهَايَةِ هَزَّ ذَيْلَهُ الصَّغِيرَ هَزَّةً مُفَاجِئَةً طَرِيفَةً، وَرَكَضَ مَسَافَةً قَصِيرَةً عَبْرَ الْجِدَارِ الْقَدِيمِ، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ أَلْقَى نَظْرَةً خَاطِفَةً حَوْلَهُ اخْتَفَى فِي إِحْدَى الْفُتْحَاتِ، وَبَعْدَ دَقِيقَةٍ أَطَلَّ بِرَأْسِهِ لِيُلْقِيَ نَظْرَةً أُخْرَى ثُمَّ اخْتَفَى ثَانِيَةً، وَكَرَّرَ ذَلِكَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا كَأَنَّهُ قَلِقٌ.

فَضَحِكَ بيتر فِي نَفْسِهِ وَقَالَ: «هَا هُوَ بَيْتُهُ الْجَدِيدُ هُنَاكَ. وَالْآنَ وَقَدْ صِرْتُ أَعْرِفُ مَكَانَهُ، أَظُنُّنِي سَأُسْرِعُ بِالْعَوْدَةِ إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ.» وَكَانَ يَهُمُّ بِالرَّحِيلِ عِنْدَمَا خَرَجَ ثرثار مِنَ الْفُتْحَةِ وَجَلَسَ عَلَى حَجَرٍ كَبِيرٍ. كَانَ يَتَحَدَّثُ بِصَوْتٍ عَالٍ، وَأَصْغَى بيتر إِلَيْهِ؛ وَمِنْ ثَمَّ بَدَأَتْ أُذُنَاهُ الطَّوِيلَتَانِ تَحْمَرَّانِ؛ إِذْ كَانَ مَا سَمِعَهُ الْآتِي:

سَرَّنِي أَنَّ بيتر لَيْسَ بِمُتَلَصِّصٍ؛ فَمَا أَبْغَضَ الْمُتَلَصِّصِينَ!
وَمَا أَفْظَعَ أَنْ يَسْعَى الْبَعْضُ إِلَى التَّطَفُّلِ عَلَى الْآخَرِينَ!

ثُمَّ جَرَى ثرثار مُتَوَارِيًا عَنِ الْأَنْظَارِ، بَيْنَمَا أَسْرَعَ بيتر مُبْتَعِدًا. وَكَانَتْ أُذُنَاهُ مَا زَالَتَا مُحْمَرَّتَيْنِ، وَلِسَبَبٍ مَا لَمْ يَجِدْ مُتْعَةً كَبِيرَةً فِي فِكْرَةِ أَنَّهُ اكْتَشَفَ سِرَّ ثرثار كَمَا تَخَيَّلَ أَنْ يَحْدُثَ. وَفِي فُتْحَةِ الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ كَانَ السِّنْجَابُ الْأَحْمَرُ ثرثار يَضْحَكُ كَمَنْ يَضْحَكُ عَلَى دُعَابَةٍ رَائِعَةٍ. وَهُوَ مَا كَانَ بِالْفِعْلِ، وَكَانَ الْأَرْنَبُ بيتر ضَحِيَّتَهَا؛ فَهُوَ لَمْ يَكْتَشِفْ بَيْتَ ثرثار الْجَدِيدَ عَلَى الْإِطْلَاقِ.

الفصل السابع

كَيْفَ خَدَعَ ثرثار الْأَرْنَبَ بيتر

السِّنْجَابُ الْأَحْمَرُ ثرثار هُوَ نَفْسُهُ سِنْجَابٌ شَقِيٌّ وَغَيْرُ جَدِيرٍ بِالثِّقَةِ. وَلَا أَحَدَ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ أَوِ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ يَثِقُ بِهِ. وَالْأَشْخَاصُ الَّذِينَ لَا يُمْكِنُ الْوُثُوقُ بِهِمْ لَا يَثِقُونَ بِغَيْرِهِمْ أَبَدًا؛ فَثرثار لَا يَثِقُ بِأَحَدٍ أَبَدًا، وَهُوَ دَائِمُ التَّشَكُّكِ؛ لِذَا عِنْدَمَا وَدَّعَهُ الْأَرْنَبُ بيتر وَاتَّجَهَ إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ دُونَ أَنْ يَعْرِفَ مَكَانَ بَيْتِ ثرثار الْجَدِيدِ، قَرَّرَ ثرثار عَلَى الْفَوْرِ أَنَّ بيتر لَنْ يَهْدَأَ لَهُ بَالٌ أَبَدًا حَتَّى يَعْرِفَ — أَوْ يَعْتَقِدَ خَطَأً أَنَّهُ عَرَفَ — مَكَانَ ذَلِكَ الْبَيْتِ الْجَدِيدِ؛ فَهُوَ يَعْرِفُ جَيِّدًا مَا يَتَّسِمُ بِهِ بيتر مِنْ فُضُولٍ كَرِيهٍ.

فَرَاقَبَ بيتر حَتَّى اخْتَفَى عَنْ نَاظِرَيْهِ، ثُمَّ انْزَلَقَ إِلَى أَسْفَلَ مُتَوَارِيًا عَنِ الْأَنْظَارِ بِدَوْرِهِ بَيْنَ أَحْجَارِ الْجِدَارِ الْقَدِيمِ. وَقَالَ لِنَفْسِهِ: «أَنَا أَعْرِفُ مَا سَيَفْعَلُهُ بيتر؛ سَوْفَ يَتَسَلَّلُ عَائِدًا، وَيَخْتَبِئُ حَيْثُ يُمْكِنُ لَهُ مُرَاقَبَتِي؛ وَمِنْ ثَمَّ يَكْتَشِفُ مَكَانَ بَيْتِيَ الْجَدِيدِ؛ إِذَنْ سَأَبْقَى هُنَا فَتْرَةً كَافِيَةً لِكَيْ أُعْطِيَهُ فُرْصَةً لِلِاخْتِبَاءِ، ثُمَّ أَخْدَعَهُ.»

فَثرثار كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَكَانَ بيتر، لَفَعَلَ الشَّيْءَ ذَاتَهُ؛ فَانْتَظَرَ قَلِيلًا ثُمَّ عَادَ إِلَى حَيْثُ تَرَكَهُ بيتر. وَهُنَاكَ جَلَسَ وَتَظَاهَرَ بِالنَّظَرِ فِي الِاتِّجَاهِ الَّذِي ذَهَبَ مِنْهُ بيتر، وَكَأَنَّهُ يَتَأَكَّدُ مِنْ أَنَّ بيتر فِي طَرِيقِ الْعَوْدَةِ إِلَى الْبَيْتِ بِالْفِعْلِ. وَلَكِنَّ ثرثار ظَلَّ يَنْظُرُ بِطَرَفِ عَيْنَيْهِ طَوَالَ الْوَقْتِ لِيَرَى إِذَا مَا كَانَ بيتر يَخْتَبِئُ فِي مَكَانٍ مَا بِالْقُرْبِ مِنْهُ. فَلَمْ يرَ بيتر، وَلَكِنَّهُ لَمْ يُخَالِجْهُ أَدْنَى شَكٍّ فِي وُجُودِ بيتر فِي مَكَانٍ مَا حَوْلَهُ.

وَبَعْدَ بُرْهَةٍ، رَكَضَ صَوْبَ فُتْحَةٍ بَيْنَ أَحْجَارِ الْجِدَارِ الْقَدِيمِ وَتَظَاهَرَ بِشِدَّةِ انْشِغَالِهِ هُنَاكَ، كَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ مَكَانُ الْبَيْتِ الْجَدِيدِ الَّذِي وَجَدَهُ فِعْلًا. وَظَلَّ يُطِلُّ دَاخِلًا وَخَارِجًا مِنْهَا

كَأَنَّهُ خَائِفٌ مِنْ مُرَاقَبَةِ أَحَدٍ لَهُ. حَتَّى إِنَّهُ أَحْضَرَ بَعْضَ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ الْجَافَّةِ وَأَدْخَلَهَا فِي فُتْحَةِ الْجِدَارِ، كَأَنَّمَا يَصْنَعُ سَرِيرًا. وطَوَالَ الْوَقْتِ، رَغْمَ أَنَّهُ لَمْ يَلْحَظْ شَيْئًا يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ بيتر، لَمْ يُخَالِجْهُ شَكٌّ فِي أَنَّ بيتر يُرَاقِبُهُ. وَعِنْدَمَا أَحَسَّ بِالتَّعَبِ، طَرَأَتْ فِكْرَةٌ جَدِيدَةٌ عَلَى رَأْسِهِ الصَّغِيرِ الدَّاهِيَةِ؛ فَقَفَزَ خَارِجَ الْفُتْحَةِ وَجَلَسَ أَعْلَى الْجِدَارِ، ثُمَّ أَلْقَى بَيْتَ الشِّعْرِ الَّذِي احْمَرَّتْ لَهُ أُذُنَا بيتر بِصَوْتٍ عَالٍ. وَكَانَ يَقْصِدُ أَنْ تَحْمَرَّ أُذُنَا بيتر خَجَلًا. وَأَلْقَى ذَلِكَ الْبَيْتَ كَأَنَّهُ اعْتَقَدَ فِعْلًا أَنَّ بيتر لَمْ يَكُنْ يَتَلَصَّصُ عَلَيْهِ وَأَنَّهُ سُرَّ لِذَلِكَ. وَعِنْدَمَا فَرَغَ مِنْ إِلْقَائِهِ، أَسْرَعَ مُبْتَعِدًا عَنِ الْأَنْظَارِ ثَانِيَةً حَتَّى يُعْطِيَ بيتر فُرْصَةً لِلابْتِعَادِ. وَلَكِنْ فِي تِلْكَ الْمَرَّةِ اخْتَلَسَ ثرثار نَفْسُهُ النَّظَرَ؛ فَاخْتَبَأَ حَيْثُ لَا يُمْكِنُ لِبيتر رُؤْيَتُهُ، وَلَكِنْ حَيْثُ يُمْكِنُ لَهُ رُؤْيَةُ امْتِدَادِ الْجِدَارِ مِنَ النَّاحِيَتَيْنِ، فَكَانَ أَنْ رَأَى بيتر يَزْحَفُ خَارِجًا مِنْ تَحْتِ الشُّجَيْرَةِ الصَّغِيرَةِ — حَيْثُ كَانَ يَخْتَبِئُ — وَيَتَسَلَّلُ مُبْتَعِدًا فِي اتِّجَاهِ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ. وَعَرَفَ أَنَّ بيتر هَذِهِ الْمَرَّةَ ذَهَبَ بِلَا رَجْعَةٍ.

فَرَاحَ ثرثار يَضْحَكُ وَيَضْحَكُ لَدَى تَفْكِيرِهِ فِي الْخُدْعَةِ الَّتِي لَعِبَهَا عَلَى الْأَرْنَبِ بيتر، وَتَمَنَّى لَوْ كَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يُكَافِئَ نَفْسَهُ عَلَى شِدَّةِ دَهَائِهِ. وَلَمْ يُفَكِّرْ مَرَّةً فِي مَدَى خِدَاعِ بيتر وَلُؤْمِهِ لِتَلَصُّصِهِ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ سَيَفْعَلُ الشَّيْءَ ذَاتَهُ. وَقَالَ ثرثار ضَاحِكًا: «لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْمَرْءُ شَدِيدَ الذَّكَاءِ هَذِهِ الْأَيامَ لِكَيْ يَحْفَظَ سِرًّا.»

إِلَّا أَنَّ الْأَرْنَبَ بيتر جَلَسَ فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ عَصْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ مَشْغُولَ الْبَالِ وَيَشْعُرُ بِخَجَلٍ شَدِيدٍ. وَلَمْ تَمْنَحْهُ فِكْرَةُ اكْتِشَافِ مَكَانِ بَيْتِ ثرثار الْجَدِيدِ السَّعَادَةَ الَّتِي تَخَيَّلَهَا. وَكَانَتْ أُذُنَاهُ مَا زَالَتَا مُحْمَرَّتَيْنِ؛ إِذْ إِنَّهُ فَكَّرَ أَنَّ ثرثار يَظُنُّهُ أَمِينًا عَلَى عَكْسِ حَقِيقَتِهِ.

وَأَخِيرًا قَالَ: «أَظُنُّنِي سَأَذْهَبُ غَدًا وَأُخْبِرُ ثرثار كُلَّ شَيْءٍ وَكَمْ كُنْتُ لَئِيمًا!» وَعِنْدَمَا اتَّخَذَ ذَلِكَ الْقَرَارَ، شَعَرَ بِالارْتِيَاحِ.

وَطَوَالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ لَمْ يَكُنْ قَدِ اكْتَشَفَ مَكَانَ بَيْتِ ثرثار مُطْلَقًا؛ فَقَدْ كَانَ بَيْتُ نَقَّارِ الْخَشَبِ درامر الْمَوْجُودُ بِشَجَرَةِ تُفَّاحٍ قَدِيمَةٍ هُوَ الَّذِي قَرَّرَ ثرثار أَنْ يَسْكُنَهُ.

الفصل الثامن

إِهْمَالُ ثرثار

إِذَا أَهْمَلْتَ وَلَوْ فِي صَغَائِرِ الْأُمُورِ،
طَرَقَتِ الْمَتَاعِبُ بَابَكَ.

يَبْدُو أَنَّ بَعْضَ الْأَشْخَاصِ لَا يَعُونَ ذَلِكَ الدَّرْسَ أَبَدًا. فَقَدْ تَتَخَيَّلُونَ بَعْدَ كُلِّ الْمَتَاعِبِ وَالْهُمُومِ الَّتِي مَرَّ بِهَا ثرثار، أَنَّهُ سَيَكُونُ قَدْ تَعَلَّمَ الدَّرْسَ. وَبَدَا لِبُرْهَةٍ وَكَأَنَّهُ لُقِّنَ دَرْسًا. فَصَبَاحًا تِلْوَ الْآخَرِ — وَقَبْلَ اسْتِيقَاظِ أَيٍّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ الْمُزَارِعِ براون — كَانَ يَزُورُ صَوْمَعَةَ الذُّرَةِ لَدَى الْمُزَارِعِ براون، بَاذِلًا قُصَارَى جُهْدِهِ؛ لِكَيْلَا يَرَاهُ أَحَدٌ، وَلِكَيْ يَعُودَ إِلَى بَيْتِهِ فِي الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ قَبْلَ أَنْ يَحِينَ وَقْتُ خُرُوجِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون لِمُزَاوَلَةِ أَعْمَالِهِ الصَّبَاحِيَّةِ. وَفِي الصَّوْمَعَةِ حَرَصَ أَشَدَّ الْحِرْصِ عَلَى أَلَّا يَسْرِقَ إِلَّا مِنْ حَيْثُ لَا يُمْكِنُ مُلَاحَظَةُ غِيَابِ مَا أَخَذَهُ. أَمَّا الْقَوَالِحُ الَّتِي أَكَلَ مِنْهَا الذُّرَةَ فَكَانَ يُخَبِّئُهَا فِي رُكْنٍ رَكِينٍ وَرَاءَ كَوْمَةِ الذُّرَةِ الصَّفْرَاءِ الْهَائِلَةِ. آهٍ! كَمْ كَانَ دَاهِيَةً وَمَكَّارًا ذَاكَ السِّنْجَابُ الْأَحْمَرُ ثرثار، فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ.

وَلَكِنْ بَعْدَ بُرْهَةٍ — حِينَ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ — صَارَ ثرثار مُهْمِلًا؛ فَفِي أَوَّلِ الْأَمْرِ بَدَا الذَّهَابُ إِلَى صَوْمَعَةِ الذُّرَةِ أَمْرًا شَدِيدَ الْخُطُورَةِ، وَلَكِنْ بَعْدَ تَرَدُّدِهِ عَلَيْهَا، لَمْ يَبْدُ الْأَمْرُ خَطِيرًا بِالْمَرَّةِ. وَكَانَ مَا إِنْ يَدْخُلْ يَتَفَرَّغْ لِلِاسْتِمْتَاعِ بِوَقْتِهِ؛ فَكَانَ يَجْرِي فِي أَرْجَاءِ كَوْمَةِ الذُّرَةِ الصَّفْرَاءِ الْجَمِيلَةِ الْهَائِلَةِ، وَيَكْتَشِفُ فِيهَا أَحْلَى الْمَخَابِئِ. وَبِالْأَسْفَلِ فِي رُكْنٍ قَصِيٍّ صَنَعَ فِرَاشًا رَائِعًا مِنْ أَجْزَاءِ الْقِشْرِ الَّتِي لَمْ تُنْتَزَعْ مِنْ عَلَى بَعْضِ الْأَكْوَازِ. فَكَانَ ذَلِكَ إِلَى

حَدٍّ بَعِيدٍ هُوَ أَلْطَفَ مَكَانٍ حَلَمَ بِهِ؛ أَيْ صَوْمَعَةُ الْمُزَارِعِ براون. وَوَصَلَ بِهِ الْأَمْرُ إِلَى حَدِّ الشُّعُورِ بِأَنَّهَا كَانَتْ مِلْكَهُ وَلَيْسَتْ مِلْكًا لِلْمُزَارِعِ براون عَلَى الْإِطْلَاقِ.

وَكُلَّمَا نَمَا ذَلِكَ الشُّعُورُ، زَادَ ثرثار إِهْمَالًا. فَكَانَتْ تَسْقُطُ مِنْهُ مِنْ حِينٍ لِآخَرَ حَبَّةُ ذُرَةٍ وَيَتَكَاسَلُ عَنِ النُّزُولِ لِالْتِقَاطِهَا، أَوْ لَا يُبَالِي بِهَا أَسَاسًا. وَكَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون — حِينَ يَأْتِي كُلَّ صَبَاحٍ لِجَلْبِ الذُّرَةِ مِنْ أَجْلِ الدَّجَاجِ — يُلَاحِظُ تِلْكَ الْحَبَّاتِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَفْتَرِضُ أَنَّهَا سَقَطَتْ مِنَ الْأَكْوَازِ أَثْنَاءَ نَقْلِهَا. ثُمَّ كَانَ أَنْ أَسْقَطَ ثرثار ذَاتَ يَوْمٍ كُوزَ ذُرَةٍ كَانَ قَدْ أَكَلَ مَا عَلَيْهِ مِنَ الذُّرَةِ. وَكَانَ يَنْوِي أَنْ يَلْتَقِطَهُ وَيُخَبِّئَهُ، كَمَا خَبَّأَ الْأَكْوَازَ الْأُخْرَى، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرْغَبْ فِي ذَلِكَ وَقْتَئِذٍ. وَفِيمَا بَعْدُ نَسِيَ الْأَمْرَ بِرُمَّتِهِ. نَعَمْ، نَسِيَ الْأَمْرَ بِرُمَّتِهِ حَتَّى بَلَغَ بَيْتَهُ فِي الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ.

فَفَكَّرَ ثرثار قَائِلًا: «آهٍ! حَسَنًا، لَا بَأْسَ. يُمْكِنُنِي أَنْ آتِيَ بِهِ وَأُخَبِّئَهُ صَبَاحَ غَدٍ.»

وَإِنَّ الْعُثُورَ عَلَى كُوزِ ذُرَةٍ مُلْقًى لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْخَطِيرِ. وَكَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَعْلَمُ مَكَانَ كَوْمَةٍ كَامِلَةٍ مِنَ الْأَكْوَازِ. وَكَانَ يُضِيفُ إِلَى تِلْكَ الْكَوْمَةِ كُلَّ يَوْمٍ، بَعْدَ فَرْطِ مَا يَكْفِي مِنَ الذُّرَةِ لِلدَّجَاجَاتِ؛ لِذَا قَدْ يَبْدُو أَنَّهُ لَيْسَ فِي كُوزِ الذُّرَةِ مَا قَدْ يَجْعَلُهُ يَشْعُرُ بِالْقَلَقِ مِثْلَمَا شَعَرَ ذَلِكَ الصَّبَاحَ، عِنْدَمَا أَبْصَرَ الْكُوزَ الَّذِي تَرَكَهُ السِّنْجَابُ الْأَحْمَرُ ثرثار. وَلَكِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ سَبَبٍ لِوُجُودِ كُوزِ ذُرَةٍ مَأْكُولٍ دَاخِلَ صَوْمَعَةِ الذُّرَةِ، وَفَجْأَةً بَاتَتْ حَبَّاتُ الذُّرَةِ الْمُتَنَاثِرَةُ تَحْمِلُ لَهُ مَعْنًى جَدِيدًا.

فَقَالَ مُتَعَجِّبًا: «هَا هَا! إِذَنْ فَقَدْ كَانَ ثَمَّةَ لِصٌّ هُنَا! كُنْتُ أَظُنُّنَا فِي مَأْمَنٍ مِنَ الْجِرْذَانِ وَالْفِئْرَانِ، وَلَا أَدْرِي الْآنَ كَيْفَ دَخَلَتْ؛ فَأَنَا لَا أَدْرِي — حَقًّا لَا أَدْرِي — كَيْفَ تَمَكَّنَتْ مِنْ تَسَلُّقِ الْأَرْجُلِ الْحَجَرِيَّةِ لِلصَّوْمَعَةِ. وَلَكِنْ لَا شَكَّ فِي أَنَّ كَائِنًا حَادَّ الْأَسْنَانِ كَانَ هُنَا. لَا بُدَّ أَنِّي تَرَكْتُ الْبَابَ مَفْتُوحًا بَعْضَ الْوَقْتِ، وَانْسَلَّ جُرَذٌ إِلَى الدَّاخِلِ. وَالْآنَ سَأَخْرُجُ فِي إِثْرِكَ يَا سَيِّدُ جُرَذُ أَوْ يَا سَيِّدُ فَأْرُ. لَا يُمْكِنُنَا إِبْقَاؤُكَ فِي صَوْمَعَتِنَا.»

وبَعْدَهَا دَخَلَ إِلَى الْمَنْزِلِ. وَسُرْعَانَ مَا عَادَ مُمْسِكًا مِصْيَدَةَ جِرْذَانٍ فِي يَدٍ وَمِصْيَدَةَ فِئْرَانٍ فِي الْأُخْرَى.

الفصل التاسع

فُضُولُ ثرثار المُفْرِطُ

يَعْلَمُ الْجَمِيعُ مَدَى فُضُولِ الْأَرْنَبِ بيتر؛ فَهُوَ دَائِمًا مَا يَحْشُرُ أَنْفَهُ الصَّغِيرَ الْمُرْتَعِشَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِ، وَالنَّتِيجَةُ أَنَّ بيتر دَائِمًا مَا يَقَعُ فِي الْمَتَاعِبِ. وَكَانَ ثرثار كُلَّمَا سَمِعَ حِكَايَةً جَدِيدَةً عَنْ بيتر وَالْمَآزِقِ الَّتِي يُوقِعُهُ فُضُولُهُ فِيهَا، قَالَ إِنَّ بيتر نَالَ مَا يَسْتَحِقُّهُ. أَمَّا عَنْ ثرثار نَفْسِهِ، فَقَدْ يَنْتَابُهُ الْفُضُولُ بِشَأْنِ شَيْءٍ يَرَاهُ لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، وَلَكِنَّهُ كَانَ أَذْكَى مِنْ أَنْ يَعْبَثَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَعْرِفَ كُلَّ شَيْءٍ عَنْهُ؛ لِذَا عُرِفَ عَنْ ثرثار أَنَّهُ ذَكِيٌّ جِدًّا، أَذْكَى مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي مِصْيَدَةٍ — أَوْ عَلَى الْأَقَلِّ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِي مِصْيَدَةٍ عَادِيَّةٍ.

إِلَّا أَنَّ الْعَدِيدَ مِنَّا يَنْجَحُونَ فِي جَعْلِ جِيرَانِهِمْ يَظُنُّونَهُمْ أَذْكَى كَثِيرًا مِنْ حَقِيقَتِهِمْ، وثرثار أَحَدُ أُولَئِكَ. فَلَوْ أَنَّ بَعْضَ جِيرَانِهِ اسْتَرَقَ النَّظَرَ دَاخِلَ صَوْمَعَةِ الذُّرَةِ لَدَى الْمُزَارِعِ براون صَبِيحَةَ عُثُورِ ابْنِهِ عَلَى كُوزِ الذُّرَةِ الَّذِي أَسْقَطَهُ ثرثار بِإِهْمَالٍ مِمَّا قَدْ يَكْشِفُ أَمْرَهُ، لَأَصَابَتْهُ الدَّهْشَةُ. فَكَانَ سَيَرَى السِّنْجَابَ الْأَحْمَرَ ثرثار — الْمُخْتَالَ ذَا الذَّكَاءِ الْحَادِّ — يُبْدِي فُضُولًا يَكَادُ يُضَاهِي فُضُولَ الْأَرْنَبِ بيتر.

كَانَ ثرثار قَدْ أَتَى إِلَى صَوْمَعَةِ الذُّرَةِ كَالْمُعْتَادِ لِلْحُصُولِ عَلَى إِمْدَادِهِ الْيَوْمِيِّ مِنَ الذُّرَةِ. وَكَالْمُعْتَادِ، جَرَى فِي أَرْجَاءِ كَوْمَةِ الذُّرَةِ الصَّفْرَاءِ الْهَائِلَةِ. وَفَجْأَةً لَمَحَتْ عَيْنَاهُ الثَّاقِبَتَانِ شَيْئًا لَمْ يَسْبِقْ لَهُمَا أَنْ رَأَتَاهُ. كَانَ بِالْأَسْفَلِ عَلَى أَرْضِ صَوْمَعَةِ الذُّرَةِ بِالْقُرْبِ مِنَ الْبَابِ. وَكَانَ ثرثار مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا هُنَاكَ فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ. وَكَانَ شَيْئًا عَجِيبًا جِدًّا، بَلْ غَايَةً فِي الْعَجَبِ. ثُمَّ لَمَحَ شَيْئًا عَجِيبًا آخَرَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْأَوَّلِ، وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَ كَثِيرًا. فَمَاذَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَا؟ تَطَلَّعَ إِلَيْهِمَا بِرِيبَةٍ؛ فَقَدْ بَدَا مَظْهَرُهُمَا غَيْرَ مُؤْذٍ إِلَى

حَدٍّ مَا، وَكَانَا سَاكِنَيْنِ. فَرَكَضَ بِضْعَ خُطُوَاتٍ تِجَاهَهُمَا وَنَهَرَهُمَا، مِثْلَمَا يَفْعَلُ كُلَّمَا وَجَدَ شَيْئًا جَدِيدًا خَارِجَ بَيْتِهِ. وَلَكِنَّهُمَا ظَلَّا سَاكِنَيْنِ؛ فَجَرَى عَلَى رَفٍّ صَغِيرٍ يُمْكِنُ النَّظَرُ مِنْهُ مُبَاشَرَةً إِلَى الشَّيْئَيْنِ الْعَجِيبَيْنِ بِالْأَسْفَلِ. وَكَانَ مُتَأَكِّدًا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مِنْ أَنَّهُمَا لَيْسَا كَائِنَيْنِ حَيَّيْنِ. أَمَّا أَكْبَرُهُمَا فَاسْتَطَاعَ ثرثار أَنْ يَرَى أَجْزَاءَهُ بِالْكَامِلِ، وَكَانَ يُوجَدُ بِدَاخِلِهِ طَعَامٌ مَا. وَكَانَ أَصْغَرُهُمَا مُسْتَدِيرًا مُسَطَّحًا ذَا أَسْلَاكٍ غَرِيبَةٍ أَعْلَاهُ. وَبَدَا كَأَنَّهُ مَصْنُوعٌ مِنَ الْخَشَبِ، وَفِي جَوَانِبِهِ كَانَتْ ثَمَّةَ ثُقُوبٌ مُسْتَدِيرَةٌ دَقِيقَةٌ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ يُولِجَ رَأْسَهُ فِيهَا.

فَقَالَ صَوْتٌ خَافِتٌ دَاخِلَ ثرثار: «دَعْهُمَا وَشَأْنَهُمَا.»

فَقَالَ ثرثار: «وَلَكِنَّنِي أُرِيدُ أَنْ أَرَى مَا هُمَا وَأَعْرِفَ كُلَّ شَيْءٍ عَنْهُمَا.»

فَقَالَ الصَّوْتُ: «لَا خَيْرَ يَأْتِي مِنْ وَرَاءِ الْعَبَثِ بِأَشْيَاءَ لَا تَعْرِفُهَا.»

فَرَدَّ ثرثار قَائِلًا: «وَلَكِنَّهُمَا عَجِيبَانِ حَقًّا. وَهُمَا لَيْسَا كَائِنَيْنِ حَيَّيْنِ. لَا يُمْكِنُهُمَا إِصَابَتِي بِأَذًى.»

وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ رَكَضَ عَائِدًا إِلَى كَوْمَةِ الذُّرَةِ وَحَاوَلَ أَنْ يَأْكُلَ. وَلَكِنَّهُ كَانَ قَدْ فَقَدَ شَهِيَّتَهُ لِسَبَبٍ مَا. وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ عَنِ الشَّيْئَيْنِ الْعَجِيبَيْنِ الْمَوْجُودَيْنِ عَلَى الْأَرْضِ.

فَحَذَّرَهُ الصَّوْتُ الْخَافِتُ بِدَاخِلِهِ قَائِلًا: «الْأَفْضَلُ أَنْ تَبْتَعِدَ عَنْهُمَا.»

فَرَدَّ ثرثار قَائِلًا: «لَا ضَرَرَ فِي أَنْ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا نَظْرَةً عَنْ كَثَبٍ.»

لِذَا أَسْرَعَ بِالنُّزُولِ مِنْ عَلَى كَوْمَةِ الذُّرَةِ مَرَّةً أُخْرَى وَاقْتَرَبَ مِنَ الشَّيْئَيْنِ الْعَجِيبَيْنِ شَيْئًا فَشَيْئًا. وَكَانَ كُلَّمَا اقْتَرَبَ مِنْهُمَا، بَدَا مَظْهَرُهُمَا أَكْثَرَ بَرَاءَةً. وَأَخِيرًا تَقَدَّمَ إِلَى الْأَمَامِ وَتَشَمَّمَ أَصْغَرَهُمَا. ثُمَّ شَمَخَ بِأَنْفِهِ فِي ازْدِرَاءٍ.

وَغَمْغَمَ ثرثار قَائِلًا: «تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ فِئْرَانٍ، مُجَرَّدُ فِئْرَانِ مَخَازِنَ عَادِيَّةٍ.» ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ، وَقَالَ: «هَاهْ! لَا شَيْءَ يَسْتَدْعِي الْخَوْفَ.» وَحِينَهَا لَمَسَ أَحَدَ الْأَسْلَاكِ الصَّغِيرَةِ، وَحَدَثَتْ فَرْقَعَةٌ مُفَاجِئَةٌ، أَخَافَتْ ثرثار إِلَى دَرَجَةِ أَنْ فَرَّ مُبْتَعِدًا. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ الْبَقَاءَ بَعِيدًا؛ فَقَدْ كَانَتِ الْفَرْقَعَةُ طَرِيفَةً جِدًّا، وَلَمْ تُصِبْهُ بِأَيِّ أَذًى؛ فَهُوَ لَمْ يَضَعْ يَدَهُ فِي إِحْدَى الْفُتْحَاتِ الدَّقِيقَةِ، وَإِلَّا كَانَ أُصِيبَ بِبَعْضِ الْأَذَى.

وَسُرْعَانَ مَا عَادَ يَعْبَثُ بِالْأَسْلَاكِ الصَّغِيرَةِ بِالْأَعْلَى. وَمِنْ حِينٍ لِآخَرَ كَانَتْ تُصْدِرُ فَرْقَعَةً، فَيَفِرُّ ثرثار مُبْتَعِدًا. كَانَ أَمْرًا مُخِيفًا جِدًّا وَمُمْتِعًا لِلْغَايَةِ. وَبَعْدَ فَتْرَةٍ، لَمْ يَعُدْ ذَاكَ الشَّيْءُ يُصْدِرُ فَرْقَعَةً؛ وَمِنْ ثَمَّ سَئِمَ ثرثار لُعْبَتَهُ الْعَجِيبَةَ وَبَدَأَ يَتَسَاءَلُ عَنْ أَمْرِ الشَّيْءِ الْعَجِيبِ الْآخَرِ. فَالْأَوَّلُ لَمْ يُصِبْهُ بِأَذًى، لِذَا كَانَ مُتَأَكِّدًا مِنْ أَنَّ الْآخَرَ بِدَوْرِهِ لَنْ يُصِيبَهُ بِأَذًى.

الفصل العاشر

وَنَالَتِ الْمَتَاعِبُ مِنْ ثرثار فِي النِّهَايَةِ

لَا بُدَّ أَنَّكَ خَمَّنْتَ مَا كَانَ ثرثار يَعْبَثُ بِهِ. كَانَ مِصْيَدَةَ فِئْرَانٍ، وَقَدْ أَغْلَقَهَا دُونَ أَنْ يُصِيبَهُ أَذًى. وَلَمْ يَعْلَمْ ثرثار أَنَّهَا مِصْيَدَةٌ. كَانَ حَرِيًّا بِهِ أَنْ يَعْرِفَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَعْرِفْ؛ فَهِي لَمْ تَكُنْ تُشْبِهُ الْمَصَائِدَ الَّتِي كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَضَعُهَا لَهُ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ مُطْلَقًا. وَقَدْ كَانَ خَبِيرًا بِتِلْكَ الْمَصَائِدِ وَلَا يَدْنُو مِنْهَا أَبَدًا. وَالْآنَ بَعْدَ أَنْ فَقَدَتْ مِصْيَدَةُ الْفِئْرَانِ مَا كَانَتْ تَحْمِلُهُ مِنْ إِثَارَةٍ، حَوَّلَ ثرثار انْتِبَاهَهُ إِلَى الشَّيْءِ الْعَجِيبِ الْآخَرِ. فَدَارَ حَوْلَهُ وَتَطَلَّعَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. كَانَ عَجِيبًا بِلَا شَكٍّ. أَجَلْ، كَانَ عَجِيبًا بِلَا شَكٍّ! فَقَدْ بَدَا كَبَيْتٍ صَغِيرٍ، وَإِنْ كَانَ بِإِمْكَانِهِ أَنْ يَرَى أَجْزَاءَهُ بِالْكَامِلِ. فَمَدَّ يَدًا وَلَمَسَهُ، وَلَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ؛ فَأَعَادَ الْكَرَّةَ. ثُمَّ قَفَزَ فَوْقَهُ، وَأَيْضًا لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ؛ فَأَعْمَلَ أَسْنَانَهُ الْحَادَّةَ فِيهِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْ قَضْمِهِ؛ فَقَدْ كَانَ مَصْنُوعًا مِنْ أَسْلَاكٍ مَتِينَةٍ.

وَكَانَ بِدَاخِلِهِ طَعَامٌ يَبْدُو شَهِيًّا. وَكَانَتْ رَائِحَتُهُ ذَكِيَّةً أَيْضًا. فَبَدَأَ ثرثار يَتَسَاءَلُ عَنْ مَذَاقِهِ. وَكُلَّمَا تَسَاءَلَ، زَادَتْ رَغْبَتُهُ فِي الْمَعْرِفَةِ. فَلَا بُدَّ مِنْ سَبِيلٍ لِلدُّخُولِ، وَإِنْ أَمْكَنَهُ الدُّخُولُ، فَلَا شَكَّ فِي أَنَّهُ سَيَتَمَكَّنُ مِنَ الْخُرُوجِ ثَانِيَةً؛ فَقَفَزَ إِلَى الْأَرْضِ وَرَكَضَ حَوْلَ الْبَيْتِ الصَّغِيرِ الْعَجِيبِ ذِي الْأَسْلَاكِ. وَفِي كُلِّ طَرَفٍ مِنْ طَرَفَيْهِ كَانَ ثَمَّةَ مَا يُشْبِهُ رَدْهَةً صَغِيرَةً مَصْنُوعَةً مِنَ السِّلْكِ. فَأَدْخَلَ ثرثار رَأْسَهُ فِي إِحْدَاهُمَا. وَبَدَتْ آمِنَةً تَمَامًا؛ فَتَسَلَّلَ إِلَى الدَّاخِلِ مَسَافَةً قَصِيرَةً ثُمَّ تَرَاجَعَ بِسُرْعَةٍ. وَلَكِنَّ شَيْئًا لَمْ يَحْدُثْ؛ فَأَعَادَ الْكَرَّةَ، وَلَكِنْ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ أَيْضًا.

فَقَالَ صَوْتٌ خَافِتٌ بِدَاخِلِهِ: «مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ تَبْتَعِدَ عَنْهُ.»

فَقَالَ ثرثار: «هَاهْ! وَلِمَ الْخَوْفُ! لَا يُمْكِنُ لِذَلِكَ الشَّيْءِ أَنْ يُؤْذِيَنِي.»

فَتَسَلَّلَ إِلَى الدَّاخِلِ قَلِيلًا، وَأَمَامَهُ مُبَاشَرَةً كَانَ ثَمَّةَ مَدْخَلٌ مُسْتَدِيرٌ صَغِيرٌ ذُو بَابٍ صَغِيرٍ مِنَ السِّلْكِ، وَدَفَعَ ثرثار الْبَابَ الصَّغِيرَ بِأَنْفِهِ، فَانْفَتَحَ قَدْرًا ضَئِيلًا لِلْغَايَةِ، فَتَرَاجَعَ بِرِيبَةٍ، ثُمَّ أَعَادَ الْكَرَّةَ. وَفِي تِلْكَ الْمَرَّةِ فُتِحَ الْبَابُ أَكْثَرَ. وَأَعَادَ الْكَرَّةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا حَتَّى صَارَ رَأْسُهُ بِالدَّاخِلِ تَقْرِيبًا فِي النِّهَايَةِ، وَهُنَاكَ — أَسْفَلَهُ مُبَاشَرَةً — كَانَ الطَّعَامُ الَّذِي يَرْغَبُ بِشِدَّةٍ فِي تَذَوُّقِهِ.

وَفَكَّرَ ثرثار قَائِلًا: «يُمْكِنُنِي أَنْ أَثِبَ لِأَسْفَلَ مُبَاشَرَةً لِآخُذَهُ ثُمَّ أَصْعَدَ ثَانِيَةً عَلَى الْفَوْرِ.»

فَقَالَ الصَّوْتُ الْخَافِتُ دَاخِلَهُ: «لَا تَفْعَلْ ذَلِكَ. إِنَّ الذُّرَةَ جَيِّدَةٌ بِمَا يَكْفِي. هَذَا إِلَى جَانِبِ أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ لِعَوْدَتِكَ إِلَى الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ.»

فَقَالَ ثرثار: «لَنْ يَسْتَغْرِقَ الْأَمْرُ أَكْثَرَ مِنْ دَقِيقَةٍ، ولَا بُدَّ لِي حَقًّا أَنْ أَعْرِفَ مَذَاقَهُ.»

ثُمَّ قَفَزَ إِلَى أَسْفَلَ. طَقْ! فَنَظَرَ ثرثار إِلَى أَعْلَى. وَكَانَ الْبَابُ السِّلْكِيُّ قَدِ انْغَلَقَ. وَأَخِيرًا نَالَتِ الْمَتَاعِبُ مِنْ ثرثار. أَجَلْ، لَا شَكَّ فِي أَنَّهَا نَالَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْمَرَّةَ؛ فَهُوَ لَمْ يَسْتَطِعْ فَتْحَ الْبَابِ السِّلْكِيِّ الصَّغِيرِ مِنَ الدَّاخِلِ؛ فَقَدْ وَقَعَ فِي الْمِصْيَدَةِ — مِصْيَدَةِ الْجِرْذَانِ السِّلْكِيَّةِ الَّتِي نَصَبَهَا ابْنُ الْمُزَارِعِ براون.

الفصل الحادي عشر

مَاذَا حَدَثَ لِثرثار بَعْدَهَا

هَلْ سَبَقَ لَكَ أَنْ شَعَرْتَ بِخَوْفٍ رَهِيبٍ جِدًّا؟ كَانَ ذَلِكَ مَا شَعَرَ بِهِ ثرثار. لَقَدْ وَقَعَ فِي الْفَخِّ؛ ولَا شَكَّ فِي ذَلِكَ! فَلَمْ تَكُنْ أَسْنَانُهُ الْحَادَّةُ تُجْدِي نَفْعًا مَعَ تِلْكَ الْأَسْلَاكِ الصُّلْبَةِ. كَانَ يُمْكِنُهُ النَّظَرُ مِنْ خِلَالِهَا، وَلَكِنْ لَا يُمْكِنُهُ الْخُرُوجُ. وَقَدْ أَعْجَزَتْهُ شِدَّةُ الْخَوْفِ عَنِ التَّفْكِيرِ. وَظَلَّ قَلْبُهُ يَخْفِقُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ، حَتَّى تَأَلَّمَ. وَنَسِيَ تَمَامًا أَمْرَ الطَّعَامِ الْعَجِيبِ الَّذِي رَغِبَ فِي تَذَوُّقِهِ، وَالَّذِي كَانَ أَمَامَهُ مُبَاشَرَةً الْآنَ. بَلْ إِنَّهُ شَعَرَ وَكَأَنَّهُ لَنْ تُعَاوِدَهُ الرَّغْبَةُ فِي الْأَكْلِ أَبَدًا. فَمَا الَّذِي سَيَحْدُثُ لَهُ الْآنَ؟ مَاذَا سَيَفْعَلُ بِهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون عِنْدَمَا يَجِدُهُ فِي تِلْكَ الْمِصْيَدَةِ؟

أَرْهِفُوا السَّمْعَ! مَا هَذَا؟ كَانَ ذَاكَ وَقْعَ أَقْدَامٍ خَارِجَ بَابِ صَوْمَعَةِ الذُّرَةِ مُبَاشَرَةً. فَابْنُ الْمُزَارِعِ براون آتٍ! رَكَضَ ثرثار فِي أَنْحَاءِ قَفَصِهِ السِّلْكِيِّ وَأَنْشَبَ أَنْيَابَهُ فِي الْأَسْلَاكِ الصُّلْبَةِ. وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يُجْدِ نَفْعًا، لَمْ يُجْدِ نَفْعًا عَلَى الْإِطْلَاقِ. وَلَمْ يُؤَدِّ إِلَّا إِلَى إِصَابَةِ فَمِهِ بِآلَامٍ مُبَرِّحَةٍ. ثُمَّ انْفَتَحَ بَابُ الصَّوْمَعَةِ، وَتَدَفَّقَ الضَّوْءُ إِلَى الدَّاخِلِ، وَظَهَرَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون.

وَهَتَفَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون عِنْدَمَا أَبْصَرَ ثرثار، قَائِلًا: «مَرْحَبًا! إِذَنْ فَأَنْتَ اللِّصُّ الَّذِي كَانَ يَسْرِقُ الذُّرَةَ مِنْ صَوْمَعَتِنَا، وَأَنَا كُنْتُ أَظُنُّكَ جُرَذًا أَوْ فَأْرًا. حَسَنًا حَسَنًا أَيُّهَا الْوَغْدُ الْأَحْمَرُ الصَّغِيرُ، أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ الْجَرِيمَةَ لَا تُفِيدُ؟ إِنَّكَ ذَكِيٌّ حَقًّا؛ إِذْ لَمْ تَخْطُرْ عَلَى بَالِي قَطُّ، وَلَكِنَّكَ لَسْتَ ذَكِيًّا كَمَا كُنْتَ تَظُنُّ. وَالْآنَ مَاذَا نَفْعَلُ بِكَ يَا تُرَى؟»

ثُمَّ الْتَقَطَ الْمِصْيَدَةَ وَبِدَاخِلِهَا ثرثار، وَخَرَجَ فِي الْهَوَاءِ الطَّلْقِ الْبَدِيعِ. وَكَانَ ثرثار يَرَى عَبْرَ الْفِنَاءِ الْأَمَامِيِّ لِلْمَنْزِلِ الْبُسْتَانَ الْقَدِيمَ وَالْجِدَارَ الْحَجَرِيَّ الْقَدِيمَ الْمَأْلُوفَ الَّذِي

كَثِيرًا مَا جَرَى عَلَيْهِ. وَبَدَوَا كَمَا كَانَا يَبْدُوَانِ دَائِمًا، وَلَكِنَّهُمَا كَانَا مُخْتَلِفَيْنِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ رُؤْيَتَهُمَا دُونَ رُؤْيَةِ تِلْكَ الْأَسْلَاكِ الْقَاسِيَةِ الَّتِي تَحُولُ بَيْنَهُ وبَيْنَهُمَا.

أَنْزَلَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون الْمِصْيَدَةَ عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ بَدَأَ يُنَادِي قَائِلًا: «بوسي، بوسي، بوسي.» كَادَ قَلْبُ ثرثار — الَّذِي كَانَ يَخْفِقُ بِقُوَّةٍ — أَنْ يَتَوَقَّفَ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ. فَهَا قَدْ حَضَرَتِ الْقِطَّةُ بوسي السَّوْدَاءُ، الَّتِي كَثِيرًا مَا كَانَ يُضَايِقُهَا وَيَسْخَرُ مِنْهَا. وَلَاحَ فِي عَيْنَيْهَا الصَّفْرَاوَيْنِ بَرِيقُ لَهْفَةٍ بَيْنَمَا دَارَتْ حَوْلَ الْمِصْيَدَةِ وَأَخَذَتْ تَتَشَمَّمُهَا. وَلَمْ يَسْبِقْ لِثرثار قَطُّ أَنْ سَمِعَ صَوْتًا بِبَشَاعَةِ صَوْتِ أَنْفَاسِهَا الْمُتَلَهِّفَةِ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى مِنْهُ! ثُمَّ حَاوَلَتْ بوسي السَّوْدَاءُ أَنْ تُدْخِلَ يَدَهَا بَيْنَ الْأَسْلَاكِ، فَرَأَى ثرثار مَخَالِبَهَا الْكَبِيرَةَ الْقَاسِيَةَ. وَلَكِنَّهَا عَجَزَتْ عَنْ إِدْخَالِ يَدِهَا بَيْنَ الْأَسْلَاكِ.

فَسَأَلَهَا ابْنُ الْمُزَارِعِ براون: «مَا رَأْيُكِ أَنْ تَلْتَهِمِيهِ عَلَى الْفَطُورِ؟»

فَرَدَّتْ بوسي السَّوْدَاءُ: «مِيَاو.» مُقَوِّسَةً ظَهْرَهَا بَيْنَمَا تَمَسَّحَتْ بِسَاقَيْهِ.

فَضَحِكَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَائِلًا: «أَظُنُّكِ تَقْصِدِينَ أَنَّ ذَلِكَ يَرُوقُ لَكِ كَثِيرًا. أَتَظُنِّينَ أَنَّهُ يُمْكِنُكِ الْإِمْسَاكُ بِهِ إِذَا أَطْلَقْتُ سَرَاحَهُ؟»

فَكَرَّرَتِ الْقِطَّةُ رَدَّهَا: «مِيَاو.» وَهُوَ مَا بَدَا لِثرثار الْمِسْكِينِ أَبْشَعَ صَوْتٍ سَمِعَهُ فِي حَيَاتِهِ.

فَقَالَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون: «حَسَنًا، سَنَرَى ذَلِكَ بَعْدَ حِينٍ. فَهَا هُوَ جَرَسُ الْإِفْطَارِ، وَأَنَا لَمْ أُطْعِمِ الدَّجَاجَاتِ بَعْدُ.»

الفصل الثاني عشر

ثرثار يُوقِنُ أَنَّ ذَاكَ هُوَ آخِرُ يَوْمٍ فِي حَيَاتِهِ

لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَمَلٌ، وَلَا أَدْنَى بَارِقَةِ أَمَلٍ فِي قَلْبِ ثرثار، عِنْدَمَا الْتَقَطَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون الْمِصْيَدَةَ وَاتَّجَهَ إِلَى الْمَنْزِلِ، وَبوسي السَّوْدَاءُ فِي أَعْقَابِهِ، تَتَطَلَّعُ إِلَى ثرثار بِعَيْنَيْنِ قَاسِيَتَيْنِ مُتَلَهِّفَتَيْنِ. فَأَلْقَى ثرثار نَظْرَةَ الْوَدَاعِ عَلَى الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ، وَمِنْ وَرَائِهِ عَنْ بُعْدٍ الْغَابَةُ الْخَضْرَاءُ، الَّتِي كَانَ قَدْ أُبْعِدَ عَنْهَا بِسَبَبِ خَوْفِهِ مِن ابْنِ عِرْسٍ شادو. ثُمَّ انْغَلَقَ بَابُ بَيْتِ الْمَزْرَعَةِ وَحَجَبَ ذَلِكَ كُلَّهُ. وَلَوْ كَانَ ثَمَّةَ أَيُّ أَمَلٍ فِي قَلْبِ ثرثار، لَقَضَى إِغْلَاقُ ذَلِكَ الْبَابِ عَلَى آخِرِهِ. وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَدْنَى أَمَلٍ؛ فَقَدْ كَانَ ثرثار مُوقِنًا مِنْ أَنَّهُ سَوْفَ يُقَدَّمُ إِلَى بوسي السَّوْدَاءِ عَلَى سَبِيلِ الْفَطُورِ.

وَضَعَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون الْمِصْيَدَةَ عَلَى مِنْضَدَةٍ. ثُمَّ نَادَاهُ صَوْتٌ مَهِيبٌ قَائِلًا: «مَاذَا لَدَيْكَ هُنَاكَ؟» كَانَ ذَاكَ صَوْتَ الْمُزَارِعِ براون نَفْسِهِ، الَّذِي كَانَ يَتَنَاوَلُ فَطُورَهُ.

فَأَجَابَ ابْنُهُ قَائِلًا: «إِنَّهُ اللِّصُّ الَّذِي كَانَ يَسْرِقُ ذُرَتَنَا مِنَ الصَّوْمَعَةِ.» ثُمَّ سَأَلَهُ: «مَنْ تَظُنُّهُ؟»

فَأَجَابَهُ الْمُزَارِعُ براون بِقَوْلِهِ: «أَحَدُ تِلْكَ الْجِرْذَانِ الْمُزْعِجَةِ. أَخْشَى أَنَّكَ تَهَاوَنْتَ وَتَرَكْتَ الْبَابَ مَفْتُوحًا لِبَعْضِ الْوَقْتِ، وَهَكَذَا دَخَلَتِ الْجِرْذَانُ هُنَاكَ.»

رَدَّ عَلَيْهِ ابْنُهُ مُنْتَصِرًا: «وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِجُرَذٍ، وَلَا أَظُنُّ أَنَّ ثَمَّةَ جُرَذًا. إِنَّهُ ذَاكَ السِّنْجَابُ الْأَحْمَرُ الشَّقِيُّ الصَّغِيرُ الَّذِي كُنَّا نَرَاهُ يَجْرِي عَلَى الْجِدَارِ الْقَائِمِ عَلَى أَطْرَافِ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ فِي الْآوِنَةِ الْأَخِيرَةِ. لَا يَسَعُنِي تَخَيُّلُ كَيْفِيَّةِ وُصُولِهِ إِلَى هُنَاكَ، وَلَكِنَّهُ كَانَ هُنَاكَ، وَالْآنَ هُوَ هُنَا.»

فَسَأَلَهُ الْمُزَارِعُ براون وَهُوَ يَتَوَجَّهُ لِرُؤْيَةِ ثرثار: «وَمَاذَا تَنْوِي أَنْ تَفْعَلَ بِهِ؟»

أَجَابَهُ ابْنُهُ قَائِلًا: «لَا أَدْرِي، مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ أُعْطِيَهُ لِبوسي السَّوْدَاءِ عَلَى الْفَطُورِ؛ فَهِي مَا انْفَكَّتْ تُزْعِجُنِي لِتَحْصُلَ عَلَيْهِ مُنْذُ وَجَدْتُهُ.»

نَظَرَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون إِلَى الطَّرَفِ الْمُقَابِلِ لِلْمِنْضَدَةِ أَثْنَاءَ قَوْلِهِ ذَلِكَ، وَلَمَعَتْ عَيْنَاهُ بِاللُّؤْمِ.

فَهَتَفَ صَوْتٌ نَاعِمٌ قَائِلًا: «أُوهْ، يَجِبُ أَلَّا تَفْعَلَ ذَلِكَ! سَيَكُونُ ذَلِكَ قَاسِيًا! يَجِبُ أَنْ تَأْخُذَهُ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَتُطْلِقَ سَرَاحَهُ.» ثُمَّ مَالَ وَجْهٌ رَقِيقٌ عَطُوفُ الْعَيْنَيْنِ عَلَى الْمِصْيَدَةِ، وَقَالَ: «انْظُرْ كَمْ هُوَ خَائِفٌ ذَلِكَ الصَّغِيرُ الْمِسْكِينُ! يَجِبُ أَنْ تَأْخُذَهُ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ بَعْدَ الْفَطُورِ مُبَاشَرَةً.»

فَهَتَفَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَائِلًا: «أَلَيْسَ ذَلِكَ الْمُتَوَقَّعَ مِنْ أُمِّي؟ أَظُنُّهَا سَتَفْعَلُ الشَّيْءَ ذَاتَهُ مَعَ أَقْبَحِ جُرَذٍ عَجُوزٍ فِي الْوُجُودِ. سَتُحَاوِلُ أَنْ تُفَكِّرَ فِي عُذْرٍ لِإِطْلَاقِ سَرَاحِهِ.»

فَقَالَتِ السَّيِّدَةُ براون: «لَقَدْ خَلَقَ اللهُ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ الصَّغِيرَةِ ذَاتِ الْفِرَاءِ، وَلَا بُدَّ أَنَّ لَهَا دَوْرًا مَا عَلَى الْأَرْضِ.»

فَأَطْلَقَ الْمُزَارِعُ براون ضَحْكَةً عَالِيَةً مِنَ الْقَلْبِ، وَقَالَ: «هَذَا صَحِيحٌ أَيَّتُهَا الْأُمُّ! الْمُشْكِلَةُ أَنَّهَا تَتَسَبَّبُ فِي الضَّرَرِ. فَذَلِكَ الْوَغْدُ الصَّغِيرُ مَكَانُهُ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَلَيْسَ فِي صَوْمَعَةِ الذُّرَةِ الْخَاصَّةِ بِنَا.»

فَرَدَّتْ بِسُرْعَةٍ قَائِلَةً: «فَلْتُعِدْهُ إِلَى مَكَانِهِ الصَّحِيحِ إِذَنْ.» وَضَحِكُوا جَمِيعًا.

وَطَوَالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ ثرثار الْمِسْكِينُ يُفَكِّرُ أَنَّ ذَلِكَ هُوَ آخِرُ يَوْمٍ فِي حَيَاتِهِ بِالتَّأْكِيدِ؛ فَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لِصٌّ، وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون عَلَى دِرَايَةٍ بِذَلِكَ. فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ تَكَوَّرَ عَلَى نَفْسِهِ فِي وَضْعِ الْقُرْفُصَاءِ، وَقَدْ كَانَ أَتْعَسَ مِنْ أَنْ يَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ سِوَى أَنْ يَرْتَجِفَ كُلَّمَا اقْتَرَبَ مِنْهُ أَحَدٌ. فَقَدْ كَانَ وَاثِقًا مِنْ أَنَّهَا آخِرُ مَرَّةٍ يَرَى فِيهَا الْغَابَةَ الْخَضْرَاءَ وَالْمُرُوجَ الْخَضْرَاءَ وَقُرْصَ الشَّمْسِ الْمَرِحَ وَكُلَّ الْأَشْيَاءِ الْجَمِيلَةِ الْأُخْرَى الَّتِي أَحَبَّهَا حُبًّا جَمًّا، وَبَدَا كَأَنَّ قَلْبَهُ سَيَنْفَطِرُ مِنَ الْيَأْسِ.

الفصل الثالث عشر

ثرثار يُزَجُّ بِهِ فِي السِّجْنِ

مَنِ اقْتَرَفَ إِثْمًا يَعْرِفُ بِلَا رَيْبٍ يَوْمًا،
أَنَّ ذَاكَ الْأَذَى يَدْفَعُ لَهُ بِلَا رَيْبٍ ثَمَنًا.

كَانَ ذَلِكَ حَالَ ثرثار. فَطَبْعًا لَمْ يَكُنْ يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَسْرِقَ الذُّرَةَ مِنْ صَوْمَعَةِ الْمُزَارِعِ براون. وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُ كَانَ يَشْعُرُ بِأَنَّهَا مِلْكٌ لَهُ تَمَامًا مِثْلَمَا هِيَ مِلْكُ الْمُزَارِعِ براون. فَقَدْ كَانَ سُكَّانُ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ الصِّغَارُ يَشْعُرُونَ أَنَّ كُلَّ مَا يَنْمُو هُوَ مِلْكٌ لَهُمْ إِذَا رَغِبُوا فِيهِ، وَكَانُوا أَذْكِيَاءَ بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ لِكَيْ يَحْصُلُوا عَلَيْهِ قَبْلَ غَيْرِهِمْ. وَلَكِنْ هُنَا أَخْطَأَ ثرثار. كَانَ الْمُزَارِعُ براون قَدْ حَصَدَ الذُّرَةَ وَخَزَّنَهَا فِي صَوْمَعَتِهِ، وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَكُنْ لِغَيْرِهِ بِالتَّأْكِيدِ حَقٌّ فِيهَا. وَكَانَ ثرثار يَعْلَمُ ذَلِكَ فِي أَعْمَاقِهِ. وَلَوْ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ، لَمَا أَخَذَهَا خِلْسَةً كَمَا كَانَ يَفْعَلُ. فَقَدْ عَلِمَ طَوَالَ الْوَقْتِ أَنَّهُ يَسْرِقُ، وَلَكِنَّهُ حَاوَلَ أَنْ يُقْنِعَ نَفْسَهُ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ. فَظَلَّ يَسْرِقُ وَيَسْرِقُ حَتَّى وَقَعَ فِي الْمِصْيَدَةِ فِي نِهَايَةِ الْمَطَافِ، وَالْآنَ صَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَدْفَعَ ثَمَنَ خَطِئِهِ.

وَكَانَ ثرثار تَعِيسًا، وَقَدْ أَعْجَزَتْهُ شِدَّةُ التَّعَاسَةُ وَالْخَوْفُ عَنْ فِعْلِ أَيِّ شَيْءٍ سِوَى أَنْ يَجْلِسَ مُنْزَوِيًا عَلَى نَفْسِهِ كَكُرَةٍ صَغِيرَةٍ مُرْتَعِشَةٍ. وَلَمْ يُخَالِجْهُ أَدْنَى شَكٍّ فِي أَنَّ ذَلِكَ هُوَ آخِرُ يَوْمٍ فِي حَيَاتِهِ، وَأَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون سَيُسَلِّمُهُ إِلَى بوسي السَّوْدَاءِ الْقَاسِيَةِ عَلَى الْفَطُورِ. وَكَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَدْ تَرَكَهُ دَاخِلَ الْمِصْيَدَةِ فِي الْمَنْزِلِ وَخَرَجَ. وَلِوَقْتٍ

طَوِيلٍ سَمِعَ ثرثار دَقًّا فِي مَخْزَنِ الْحَطَبِ بِالْخَارِجِ، وَكَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يُصَفِّرُ أَثْنَاءَ الدَّقِّ. فَتَعَجَّبَ ثرثار مِنْ قُدْرَتِهِ عَلَى أَنْ يُصَفِّرَ وَيَبْدُوَ بِمِثْلِ هَذِهِ السَّعَادَةِ فِي حِينِ أَنَّهُ يَنْتَوِي ارْتِكَابَ فَعْلَةٍ شَنْعَاءَ مِثْلَ أَنْ يُقَدِّمَهُ إِلَى بوسي السَّوْدَاءِ. وَعَقِبَ مَا بَدَا لَهُ فَتْرَةً طَوِيلَةً جِدًّا — دُهُورًا مِنَ الزَّمَانِ — عَادَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، حَامِلًا صُنْدُوقًا عَجِيبًا.

ثُمَّ قَالَ: «هَا هُوَ بَيْتُكَ الْجَدِيدُ أَيُّهَا الْعِفْرِيتُ الْأَحْمَرُ الصَّغِيرُ! أَظُنُّهُ سَيُبْقِيكَ بِمَنْأًى عَنِ الْمَتَاعِبِ بَعْضَ الْوَقْتِ.»

وَفَتَحَ بَابًا صَغِيرًا أَعْلَى الصُّنْدُوقِ، ثُمَّ إِنَّهُ — بَعْدَ أَنِ ارْتَدَى قُفَّازًا مَتِينًا وَفَتَحَ بَابًا صَغِيرًا فِي الْمِصْيَدَةِ — أَدْخَلَ يَدَهُ الْكَبِيرَةَ وَأَطْبَقَهَا عَلَى ثرثار.

وَيَا لَثرثار الْمِسْكِينِ! كَانَ وَقْتَهَا مُوقِنًا مِنْ أَنَّهَا النِّهَايَةُ، وَأَنَّهُ سَيُمْنَحُ إِلَى بوسي السَّوْدَاءِ، الَّتِي كَانَتْ تَتَطَلَّعُ بِعَيْنَيْنِ صَفْرَاوَيْنِ مُتَلَهِّفَتَيْنِ. فَقَاوَمَ وَبَذَلَ قُصَارَى جُهْدِهِ فِي الْعَضِّ، وَلَكِنَّ الْقُفَّازَ السَّمِيكَ لَمْ يُتِحْ لِأَسْنَانِهِ الصَّغِيرَةِ الْحَادَّةِ أَنْ تُؤْذِيَ الْيَدَ الْمُمْسِكَةَ بِهِ. وَحَتَّى فِي رُعْبِهِ، لَاحَظَ أَنَّ الْيَدَ الْكَبِيرَةَ حَاوَلَتْ أَنْ تَتَرَفَّقَ بِهِ وَلَا تُمْسِكَ بِهِ بِإِحْكَامٍ أَكْثَرَ مِنَ اللَّازِمِ. ثُمَّ رُفِعَ مِنَ الْمِصْيَدَةِ وَأُسْقِطَ عَبْرَ الْمَدْخَلِ الصَّغِيرِ بِأَعْلَى الصُّنْدُوقِ الْغَرِيبِ الشَّكْلِ، وَأُوصِدَ الْبَابُ. وَلَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ مُفْزِعٌ فِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ.

وَفِي الْبِدَايَةِ، اكْتَفَى ثرثار بِالْجُلُوسِ عَابِسًا فِي أَحَدِ الْأَرْكَانِ. وَكَانَ وَاثِقًا مِنْ أَنَّ شَيْئًا فَظِيعًا سَيَحْدُثُ. ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون الصُّنْدُوقَ إِلَى الْمَخْزَنِ وَوَضَعَهُ فِي مَكَانٍ تَدَفَّقَتْ مِنْهُ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ إِلَى دَاخِلِ الصُّنْدُوقِ. وَبَقِيَ يُرَاقِبُهُ بُرْهَةً، وَلَكِنَّ ثرثار ظَلَّ عَابِسًا. وَفِي النِّهَايَةِ، رَحَلَ مُصْطَحِبًا بوسي السَّوْدَاءَ، وَصَارَ ثرثار وَحْدَهُ.

فَعِنْدَمَا تَأَكَّدَ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ أَحَدٍ حَوْلَهُ، بَدَأَ ثرثار يَتَسَاءَلُ عَنْ نَوْعِ الْمَكَانِ الَّذِي وُضِعَ فِيهِ، وَعَمَّا إِذَا كَانَ ثَمَّةَ سَبِيلٌ لِلْخُرُوجِ مِنْهُ. فَوَجَدَ أَنَّ جَانِبًا مِنْهُ، فَضْلًا عَنْ سَقْفِهِ، كَانَ مَصْنُوعًا مِنْ سِلْكٍ قَوِيٍّ مَتِينٍ، يُمْكِنُهُ النَّظَرُ عَبْرَهُ، وَأَنَّ جَوَانِبَهُ الْأُخْرَى، إِضَافَةً إِلَى قَاعِدَتِهِ، كَانَتْ مَصْنُوعَةً مِنْ خَشَبٍ مُغَطًّى بِأَسْلَاكٍ، بِحَيْثُ لَا يُمْكِنُ لِأَسْنَانِهِ الْحَادَّةِ أَنْ تَقْضَمَ الْخَشَبَ لِتَصْنَعَ مَخْرَجًا. وَفِي أَحَدِ الْأَرْكَانِ، كَانَ ثَمَّةَ قِطْعَةٌ سَمِيكَةٌ مِنْ شَجَرَةِ تُفَّاحٍ، ذَاتُ غُصْنَيْنِ صَغِيرَيْنِ سَمِيكَيْنِ لِلْجُلُوسِ عَلَيْهِمَا، وَفِي مُنْتَصَفِ الْمَسَافَةِ إِلَى السَّقْفِ فُتْحَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ صَغِيرَةٌ. فَاسْتَرَقَ ثرثار النَّظَرَ دَاخِلَ الْفُتْحَةِ بِحَذَرٍ بَالِغٍ. وَوَجَدَ دَاخِلَهَا

فَرَاغًا رَائِعًا. وَعَلَى أَرْضِيَّةِ الصُّنْدُوقِ كَانَتْ ثَمَّةَ كَوْمَةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ نُشَارَةِ خَشَبٍ وَقِطَعٍ صَغِيرَةٍ مِنَ الْقُمَاشِ. وثَمَّةَ كَوْمَةٌ صَغِيرَةٌ مِنَ الذُّرَةِ الصَّفْرَاءِ. وَكَمْ كَرِهَ ثرثار رُؤْيَةَ تِلْكَ الذُّرَةِ! فَالذُّرَةُ هِيَ الَّتِي أَوْقَعَتْهُ فِي كُلِّ تِلْكَ الْمَتَاعِبِ. عَلَى الْأَقَلِّ كَانَ ذَلِكَ هُوَ شُعُورَ ثرثار. وَعِنْدَمَا فَحَصَ كُلَّ شَيْءٍ، أَدْرَكَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ سَبِيلٍ لِلْخُرُوجِ؛ فَقَدْ كَانَ ثرثار فِي السِّجْنِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ هُوَ الِاسْمَ الَّذِي أَطْلَقَهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون عَلَيْهِ؛ فَقَدْ قَالَ إِنَّهُ قَفَصٌ.

الفصل الرابع عشر

ثرثار قَرَّرَ أَنْ يَعِيشَ

فِي الْبِدَايَةِ قَرَّرَ ثرثار أَنَّ الْمَوْتَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ مِنَ الْحَيَاةِ فِي سِجْنٍ، مَهْمَا كَانَ ذَلِكَ السِّجْنُ لَطِيفًا. كَانَتْ تِلْكَ حَمَاقَةً بَالِغَةً، وَلَكِنَّهُ اعْتَزَمَ الِامْتِنَاعَ عَنِ الطَّعَامِ. وَقَرَّرَ أَلَّا يَمَسَّ حَبَّةَ الذُّرَةِ الصَّفْرَاءَ اللَّذِيذَةَ الَّتِي وَضَعَهَا لَهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون فِي مَحْبِسِهِ؛ فَقَدِ اعْتَزَمَ أَنْ يُجِيعَ نَفْسَهُ حَتَّى الْمَوْتِ. بِالْفِعْلِ، اعْتَزَمَ أَنْ يُجِيعَ نَفْسَهُ حَتَّى الْمَوْتِ؛ لِذَا عِنْدَمَا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ مَا مِنْ سَبِيلٍ لِلْخُرُوجِ مِنْ مَحْبِسِهِ، انْزَوَى دَاخِلَ جِذْعِ الشَّجَرَةِ الْأَجْوَفِ الصَّغِيرِ الْمَوْضُوعِ بِالْقَفَصِ، حَيْثُ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَرَاهُ، وَاعْتَزَمَ أَنْ يَمْكُثَ هُنَاكَ حَتَّى يَمُوتَ؛ فَالْحَيَاةُ لَا تَسْتَحِقُّ الْعَيْشَ إِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَقْضِيَهَا سَجِينًا. حَتَّى إِنَّهُ لَنْ يُوَفِّرَ لِنَفْسِهِ سُبُلَ الرَّاحَةِ؛ فَقَدْ كَانَ ثَمَّةَ كَوْمَةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ نُشَارَةِ الْخَشَبِ وَقُصَاصَاتِ الْقُمَاشِ اللَّطِيفَةِ الَّتِي يُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَصْنَعَ مِنْهَا فِرَاشًا وَثِيرًا، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَمَسَّهَا. بَلِ اكْتَفَى بِإِغْرَاقِ نَفْسِهِ فِي التَّعَاسَةِ.

فَلَمْ يُطِلَّ حَتَّى بِطَرَفِ أَنْفِهِ خَارِجَ تِلْكَ الرَّدْهَةِ الْمُسْتَدِيرَةِ الصَّغِيرَةِ وَلَوْ مَرَّةً فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الطَّوِيلِ. وَكَثِيرًا مَا كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَأْتِي لِزِيَارَتِهِ، وَيُصَفِّرُ لَهُ وَيُنَادِيهِ بِرِقَّةٍ. وَلَكِنَّ ثرثار لَمْ يُصْدِرْ صَوْتًا. وَأَخِيرًا حَلَّ اللَّيْلُ، وَأَخَذَ الْمَخْزَنُ، حَيْثُ وُضِعَ سِجْنُهُ، يَزْدَادُ ظُلْمَةً بَعْدَ ظُلْمَةٍ وَسُكُونًا. وَفِي ذَلِكَ الْحِينِ بَدَأَتْ مَعِدَةُ ثرثار تَسْتَرْعِي انْتِبَاهَهُ؛ فَحَاوَلَ ثرثار غَضَّ الطَّرْفِ عَنْهَا، وَلَكِنَّهَا أَصَرَّتْ عَلَى لَفْتِ انْتِبَاهِهِ إِلَيْهَا، وَلَمْ يَسْتَطِعْ ثرثار تَمَالُكَ نَفْسِهِ؛ فَقَدْ كَانَتْ مَعِدَتُهُ خَاوِيَةً، وَظَلَّتْ تُخْبِرُهُ بِذَلِكَ.

أَمَّا ثرثار فَقَالَ لِنَفْسِهِ مَرَّةً تِلْوَ أُخْرَى: «سَأُجِيعُ نَفْسِي حَتَّى الْمَوْتِ.»

فَهَمَسَتْ مَعِدَتُهُ: «أَنَا خَاوِيَةٌ، وَيُوجَدُ الْكَثِيرُ مِنَ الطَّعَامِ لِمَلْئِي، إِنْ تَوَقَّفْتَ عَنْ سَخَافَاتِكَ.»

وَكُلَّمَا حَاوَلَ ثرثار أَلَّا يُفَكِّرَ فِي الْمَذَاقِ الرَّائِعِ الَّذِي قَدْ يَحْمِلُهُ طَعَامٌ مَا، زَادَ تَفْكِيرُهُ فِي الْأَمْرِ؛ وَهُوَ مَا أَوْرَثَهُ شُعُورًا بِالْقَلَقِ وَالِاضْطِرَابِ؛ فَرَاحَ يَتَلَوَّى وَيَلُفُّ وَيَتَقَلَّبُ. وَفِي النِّهَايَةِ قَرَّرَ أَنْ يُلْقِيَ نَظْرَةً أُخْرَى لِيَرَى إِذَا مَا كَانَ ثَمَّةَ سَبِيلٌ لِلْخُرُوجِ مِنْ سِجْنِهِ. فَأَطَلَّ بِرَأْسِهِ خَارِجَ الرَّدْهَةِ الْمُسْتَدِيرَةِ الصَّغِيرَةِ. وَكَانَ الظَّلَامُ وَالسُّكُونُ مَا زَالَا يُخَيِّمَانِ عَلَى الْمَكَانِ. فَأَرْهَفَ السَّمْعَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ صَوْتًا. ثُمَّ تَسَلَّلَ إِلَى الْخَارِجِ بِنُعُومَةٍ وَتَفَحَّصَ سِجْنَهُ مِنَ الدَّاخِلِ مَرَّةً أُخْرَى مُتَعَجِّلًا. فَلَمْ يُجْدِ ذَلِكَ نَفْعًا! لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ مَوْضِعٌ وَاحِدٌ يُمْكِنُهُ إِعْمَالُ أَسْنَانِهِ الْحَادَّةِ فِيهِ.

ثُمَّ هَمَسَتْ مَعِدَتُهُ: «هَا هِيَ كَوْمَةٌ صَغِيرَةٌ مِنَ الذُّرَةِ فِي انْتِظَارِي.»

فَرَدَّ ثرثار بِعُنْفٍ: «لَنْ أَمَسَّهَا أَبَدًا!»

وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ضَرَبَ شَيْئًا مَا بِقَدَمِهِ، فَتَدَحْرَجَ عَلَى الْأَرْضِ. فَالْتَقَطَهُ ثُمَّ وَضَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ ثَانِيَةً. كَانَ ثَمَرَةَ جَوْزٍ، ثَمَرَةَ جَوْزٍ سَمِيكَةً. وَأَعَادَ الْكَرَّةَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، وَكُلَّ مَرَّةٍ كَانَ يَجِدُ صُعُوبَةً أَكْبَرَ فِي وَضْعِهَا عَلَى الْأَرْضِ ثَانِيَةً.

فَغَمْغَمَ ثرثار قَائِلًا: «أَ... أَ... أَوَدُّ أَنْ أَتَذَوَّقَ ثَمَرَةَ جَوْزٍ أُخْرَى قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ جُوعًا.» وَدُونَ أَنْ يُدْرِكَ، بَدَأَ يَقْرِضُ الْقِشْرَةَ الصُّلْبَةَ. وَعِنْدَمَا فَرَغَ مِنْ تِلْكَ الثَّمَرَةِ، وَجَدَ أُخْرَى؛ وَعِنْدَمَا فَرَغَ مِنْهَا هِيَ الْأُخْرَى، أَتْبَعَهَا بِأُخْرَى. ثُمَّ رَغِبَ بِشِدَّةٍ فِي تَذَوُّقِ حَبَّةِ ذُرَةٍ. وَفَجْأَةً اكْتَشَفَ ثرثار أَنَّ الْجَوْزَ وَالذُّرَةَ نَفِدَا عَنْ آخِرِهِمَا، وَأَنَّ مَعِدَتَهُ امْتَلَأَتْ. وَلِسَبَبٍ مَا، أَحَسَّ تَحَسُّنًا كَبِيرًا. وَلَمْ يَعُدْ يَشْعُرُ بِالرَّغْبَةِ فِي الْمَوْتِ جُوعًا.

وَقَالَ لِنَفْسِهِ: «أَ... أَ... أَظُنُّنِي سَأَنْتَظِرُ قَلِيلًا وَأَرَى مَا سَيَحْدُثُ. وَأَثْنَاءَ انْتِظَارِي، فَلْأُوَفِّرْ لِنَفْسِي سُبُلَ الرَّاحَةِ.»

وَمِنْ ثَمَّ بَدَأَ يَحْمِلُ نُشَارَةَ الْخَشَبِ وَقُصَاصَاتِ الْقُمَاشِ إِلَى جِذْعِ الشَّجَرَةِ الْأَجْوَفِ، وَسُرْعَانَ مَا صَارَ لَدَيْهِ فِرَاشٌ وَثِيرٌ كَأَفْضَلِ فِرَاشٍ نَامَ عَلَيْهِ يَوْمًا. وَقَرَّرَ ثرثار أَنْ يَعِيشَ.

الفصل الخامس عشر

ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يُحَاوِلُ عَقْدَ الصَّدَاقَاتِ

لَا أَحَدَ كُلُّهُ شَرٌّ؛ فَكُلُّ قَلْبٍ بِهِ خَيْرٌ،
وَسَيَصِيرُ عَدُوُّكَ صَدِيقًا، إِذَا قُمْتَ بِمَا عَلَيْكَ.

كَانَ السِّنْجَابُ الْأَحْمَرُ ثرثار طَوَالَ حَيَاتِهِ يَعْتَبِرُ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون عَدُوًّا لَهُ، كَحَالِ كُلِّ سُكَّانِ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْبِرْكَةِ الْبَاسِمَةِ الصِّغَارِ. فَقَدْ كَانُوا يَخْشَوْنَهُ، وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا يَخْشَوْنَهُ، كَرِهُوهُ؛ فَكَانُوا كُلَّمَا اقْتَرَبَ، يُوَلُّونَ مُبْتَعِدِينَ. وَفِي الْبِدَايَةِ، كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَرْكُضُ فِي إِثْرِهِمْ لِغَرَضٍ وَاحِدٍ فَحَسْبُ، هُوَ رَغْبَتُهُ فِي مُصَادَقَتِهِمْ، وَلَمْ يَعْرِفْ كَيْفَ يُمْكِنُهُ ذَلِكَ مَا لَمْ يُمْسِكْ بِهِمْ. وَبَعْدَ حِينٍ — عِنْدَمَا عَرَفَ أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ الْإِمْسَاكَ بِهِمْ عَنْ طَرِيقِ مُطَارَدَتِهِمْ — قَرَّرَ أَنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ مُصَادَقَتَهُ؛ وَلِذَا بَدَأَ يَصْطَادُهُمْ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مِنَ الْمُمْتِعِ أَنْ يَغْلِبَهُمْ بِالْحِيلَةِ. وَبِالطَّبْعِ فَإِنَّهُ عِنْدَمَا أَقْدَمَ عَلَى ذَلِكَ، كَرِهُوهُ وَخَافُوا مِنْهُ أَكْثَرَ؛ فَهُمْ لَمْ يَفْهَمُوا أَنَّهُ كَانَ يَتَمَتَّعُ عَنْ حَقٍّ بِأَحَدِ أَطْيَبِ الْقُلُوبِ فِي الْعَالَمِ. أَمَّا هُوَ فَلَمْ يُدْرِكْ أَنَّهُمْ يَكْرَهُونَهُ فَقَطْ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَهُ.

لِذَا فَعِنْدَمَا وَقَعَ ثرثار فِي الْمِصْيَدَةِ فِي صَوْمَعَةِ الذُّرَةِ لَدَى الْمُزَارِعِ براون، لَمْ يُدَاخِلْهُ أَدْنَى شَكٍّ فِي أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون سَيُسَلِّمُهُ إِلَى بوسي السَّوْدَاءِ أَوْ يَفْعَلُ بِهِ شَيْئًا يُعَادِلُ ذَلِكَ قَسْوَةً، وَحَتَّى عِنْدَمَا عَلِمَ أَنَّهُ لَنْ يَفْعَلَ بِهِ أَكْثَرَ مِنْ إِبْقَائِهِ حَبِيسَ سِجْنٍ مُرِيحٍ جِدًّا — فِيهِ قَدْرٌ وَفِيرٌ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ — لَمْ يَسَعْهُ تَصْدِيقُ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون بِهِ أَيُّ جَانِبٍ طَيِّبٍ. بَلْ إِنَّ كَرَاهِيَتَهُ لَهُ زَادَتْ عَنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى، إِنْ كَانَ ذَلِكَ مُمْكِنًا.

وَلَكِنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون كَانَ صَبُورًا جِدًّا؛ فَكَانَ يَأْتِي إِلَى سِجْنِ ثرثار مَرَّاتٍ عَدِيدَةً كُلَّ يَوْمٍ وَيُصَفِّرُ لَهُ وَيُطَقْطِقُ لَهُ بِلِسَانِهِ وَيُحَدِّثُهُ. وَكَانَ يَجْلِبُ مَعَهُ أَطْعِمَةً شَهِيَّةً. وَبَدَا كَأَنَّهُ دَائِمُ التَّفْكِيرِ فِي هَدِيَّةٍ جَدِيدَةٍ لِثرثار. فَلَمْ يَكُنْ يَأْتِي أَبَدًا دُونَ أَنْ يَجْلِبَ شَيْئًا مَعَهُ. وَفِي الْبِدَايَةِ كَانَ ثرثار يَخْتَبِئُ فِي الْجِذْعِ الْأَجْوَفِ كُلَّمَا رَأَى ابْنَ الْمُزَارِعِ براون آتِيًا ولَمْ يَكُنْ يُطِلُّ بِرَأْسِهِ حَتَّى يَرْحَلَ. وَكَانَ عِنْدَمَا يَتَأَكَّدُ مِنْ أَنَّ الطَّرِيقَ خَالٍ، يَخْرُجُ مَرَّةً أُخْرَى، وَدَائِمًا مَا كَانَ يَجِدُ بَعْدَهَا ثَمَرَاتِ الْجَوْزِ السَّمِيكَةَ اللَّذِيذَةَ أَوْ غَيْرَهَا مِمَّا لَذَّ وَطَابَ فِي انْتِظَارِهِ. وَبَعْدَ فَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ، صَارَ ثرثار كُلَّمَا رَأَى ابْنَ الْمُزَارِعِ براون آتِيًا، بَدَأَ يَتَسَاءَلُ عَنِ الْأَطْعِمَةِ الشَّهِيَّةِ الَّتِي أَحْضَرَهَا هَذِهِ الْمَرَّةَ، وَيَنْفَدُ صَبْرُهُ انْتِظَارًا لِرَحِيلِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون حَتَّى يَعْرِفَ.

وَبِمُرُورِ الْوَقْتِ صَارَ نَفَادُ الصَّبْرِ يَبْلُغُ مِنْهُ مَبْلَغًا يَمْنَعُهُ مِنْ الِانْتِظَارِ، فَكَانَ يُطِلُّ بِرَأْسِهِ خَارِجَ الْمَدْخَلِ الْمُسْتَدِيرِ الصَّغِيرِ لِيَرَى مَا أَتَى فِيهِ مِنْ أَجْلِهِ. ثُمَّ ذَاتَ يَوْمٍ لَمْ يَأْتِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ فَحَاوَلَ ثرثار إِقْنَاعَ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ سُرَّ لِذَلِكَ، وَقَالَ لِنَفْسِهِ إِنَّهُ يَكْرَهُ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون، وَكَانَ أَمَلُهُ أَلَّا يَرَاهُ ثَانِيَةً أَبَدًا أَبَدًا. وَلَكِنَّهُ كَانَ يَعْلَمُ طَوَالَ الْوَقْتِ أَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ صَحِيحٍ؛ فَقَدْ كَانَ ذَلِكَ أَطْوَلَ يَوْمٍ مَرَّ عَلَى ثرثار مُنْذُ صَارَ سَجِينًا. وَفِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ مِنَ الْيَوْمِ التَّالِي — وَقَبْلَ نُهُوضِ ثرثار مِنْ فِرَاشِهِ — سَمِعَ وَقْعَ أَقْدَامٍ فِي مَخْزَنِ الْحَطَبِ، وَقَبْلَ أَنْ يُدْرِكَ مَا يَفْعَلُهُ، كَانَ قَدْ خَرَجَ مِنَ الْجِذْعِ الْأَجْوَفِ لِيَرَى إِذَا كَانَ الْقَادِمُ هُوَ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون فِعْلًا. وَقَدْ كَانَ هُوَ، وَكَانَ مَعَهُ ثَلَاثُ ثَمَرَاتٍ سَمِيكَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْجَوْزِ أَلْقَى بِهَا فِي قَفَصِ ثرثار. وَبَدَا لِثرثار أَنَّهُ حَقًّا لَنْ يَقْوَى عَلَى الِانْتِظَارِ حَتَّى يَرْحَلَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون. وَأَخِيرًا انْدَفَعَ إِلَى الْأَمَامِ وَأَمْسَكَ بِإِحْدَاهَا. ثُمَّ هُرِعَ إِلَى مَلَاذِ الْجِذْعِ الْأَجْوَفِ لِيَأْكُلَهَا. وَعِنْدَمَا انْتَهَى مِنْ تَنَاوُلِهَا، رَغِبَ بِشِدَّةٍ فِي أُخْرَى. وَكَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون مَا زَالَ يُرَاقِبُهُ، وَلَكِنْ لِسَبَبٍ مَا لَمْ يَشْعُرْ ثرثار بِخَوْفٍ شَدِيدٍ. وَفِي تِلْكَ الْمَرَّةِ، جَلَسَ عَلَى أَحَدِ الْفُرُوعِ الصَّغِيرَةِ لِلْجِذْعِ الْأَجْوَفِ وَأَكَلَهَا أَمَامَ عَيْنَيِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون، الَّذِي ارْتَسَمَتْ عَلَى وَجْهِهِ ابْتِسَامَةٌ تَنُمُّ عَنِ السَّعَادَةِ.

وَقَالَ: «أَظُنُّنَا سَنَصِيرُ أَصْدِقَاءَ رَغْمَ كُلِّ شَيْءٍ.»

الفصل السادس عشر

مُفاجَأَةٌ سَارَّةٌ لِثرثار

لَمْ يَسْبِقْ لِلسِّنْجَابِ الْأَحْمَرِ ثرثار — مَصْدَرِ الشَّغَبِ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ — أَنْ لَقِيَ مِثْلَ تِلْكَ الرَّاحَةِ فِي حَيَاتِهِ. فَمَهْمَا بَلَغَتْ شِدَّةُ هُبُوبِ الرِّيَاحِ الشَّمَالِيَّةِ عَلَى أَنْحَاءِ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَعَبْرَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، مُرَاكِمَةً الثُّلُوجَ فِي أَكْوَامٍ هَائِلَةٍ، لَا يُمْكِنُهَا إِصَابَتُهُ بِأَدْنَى رَجْفَةٍ دَاخِلَ فِرَائِهِ الْأَحْمَرِ الصَّغِيرِ. وَدَائِمًا مَا يَجِدُ فِي مُتَنَاوَلِ يَدَيْهِ طَعَامًا وَافِرًا مِنَ الذُّرَةِ وَالْجَوْزِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الطَّعَامِ الْمُشَهِّي الَّذِي يُحِبُّهُ ثرثار. أَجَلْ، لَمْ يَجِدْ مِثْلَ تِلْكَ الرَّاحَةِ فِي حَيَاتِهِ قَطُّ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ سَعِيدًا، لَمْ يَكُنْ سَعِيدًا بِالْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ؛ فَقَدْ كَانَ سَجِينًا. وَمَهْمَا كَانَ السِّجْنُ لَطِيفًا، لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَسْتَشْعِرَ سَعَادَةً حَقِيقِيَّةً فِيهِ.

وَمُنْذُ أَنْ صَارَ سَجِينًا، تَعَلَّمَ ثرثار أَنْ يُغَيِّرَ فِكْرَتَهُ السَّابِقَةَ عَنِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون تَمَامًا. وَالْوَاقِعُ أَنَّهُ عَقَدَ صَدَاقَةً حَمِيمَةً مَعَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون، فَقَدْ كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون لَطِيفًا جِدًّا عَلَى الدَّوَامِ، وَدَائِمًا مَا كَانَ يَجْلِبُ لَهُ طَعَامًا شَهِيًّا.

فَقَالَ ثرثار: «إِنَّهُ لَيْسَ كَمَا ظَنَنْتُهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَوْ كُنْتُ طَلِيقًا، مَا خِفْتُ مِنْهُ مُطْلَقًا. وَأَ… أَوَدُّ أَنْ أُخْبِرَ بَعْضَ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ الصِّغَارِ الْآخَرِينَ عَنْهُ. لَوْ أَنِّي …»

وَلَمْ يُنْهِ ثرثار حَدِيثَهُ؛ فَقَدْ شَعَرَ بِغُصَّةٍ كَبِيرَةٍ فِي حَلْقِهِ؛ فَقَدْ كَانَ يُفَكِّرُ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ، وَكَيْفَ اعْتَادَ الرَّكْضَ عَبْرَ قِمَمِ الْأَشْجَارِ وَعَلَى طُولِ الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ. فَقَدْ كَانَ أَكْثَرَ مَا يُمَتِّعُهُ الرَّكْضُ وَالْقَفْزُ، وَالْآنَ لَمْ يَعُدْ سِجْنُهُ الصَّغِيرُ يَتَّسِعُ لِفَرْدِ سَاقَيْهِ. لَوْ أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ الرَّكْضَ فَقَطْ — الرَّكْضَ بِكُلِّ مَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ — مِنْ حِينٍ لِآخَرَ، كَانَ يَشْعُرُ أَنَّهُ سَيَصِيرُ أَكْثَرَ قُدْرَةً عَلَى تَحَمُّلِ سِجْنِهِ.

وَعَصْرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ ذَاتِهِ — بَيْنَمَا كَانَ ثرثار يَأْخُذُ قَيْلُولَةً فِي فِرَاشِهِ دَاخِلَ جِذْعِ الشَّجَرَةِ الْأَجْوَفِ — انْزَلَقَ شَيْءٌ عَبْرَ الْمَدْخَلِ الْمُسْتَدِيرِ الصَّغِيرِ، وَأَفَاقَ ثرثار فَزِعًا لِيَجِدَ نَفْسَهُ حَبِيسَ الْجِذْعِ الْأَجْوَفِ. فَلَمْ يَكُنْ أَمَامَهُ سِوَى أَنْ يَسْتَلْقِيَ عَلَى فِرَاشِهِ، وَيَرْتَجِفَ خَوْفًا، وَيَتَسَاءَلَ عَنِ الشَّيْءِ الْفَظِيعِ الَّذِي سَيَحُلُّ بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ. وَكَانَ بِإِمْكَانِهِ سَمَاعُ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون مُنْشَغِلًا جِدًّا بِشَيْءٍ فِي قَفَصِهِ. وَبَعْدَ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ جِدًّا، تَدَفَّقَ الضَّوْءُ مَرَّةً أُخْرَى عَبْرَ الْمَدْخَلِ الصَّغِيرِ الْمُسْتَدِيرِ. وَكَانَ الْبَابُ قَدِ انْفَتَحَ. فِي الْبِدَايَةِ لَمْ يَجْرُؤْ ثرثار عَلَى الْخُرُوجِ، وَلَكِنَّهُ سَمِعَ الصَّفِيرَ النَّاعِمَ الْخَافِتَ الَّذِي يُنَادِيهِ بِهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون دَائِمًا عِنْدَمَا يُحْضِرُ لَهُ طَعَامًا شَهِيًّا أَكْثَرَ مِنَ الْمُعْتَادِ؛ لِذَا أَطَلَّ بِرَأْسِهِ فِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ؛ فَوَجَدَ عَلَى أَرْضِيَّةِ الْقَفَصِ بِضْعَ ثَمَرَاتِ جَوْزٍ شَهِيَّةٍ؛ فَخَرَجَ ثرثار عَلَى الْفَوْرِ. ثُمَّ أَبْصَرَتْ عَيْنَاهُ الثَّاقِبَتَانِ شَيْئًا آخَرَ؛ كَانَ شَيْئًا عَجِيبًا مَصْنُوعًا مِنَ السِّلْكِ فِي طَرَفِ الْقَفَصِ.

فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثرثار بِقَدْرٍ كَبِيرٍ مِنَ الرِّيبَةِ. أَيُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ مِصْيَدَةً مِنْ نَوْعٍ جَدِيدٍ؟ وَلَكِنْ مَاذَا تَصْنَعُ الْمِصْيَدَةُ هُنَا، وَهُوَ سَجِينٌ أَصْلًا؟ فَالْتَهَمَ ثَمَرَاتِ الْجَوْزِ كُلَّهَا، مُتَطَلِّعًا طَوَالَ الْوَقْتِ إِلَى ذَاكَ الشَّيْءِ الْجَدِيدِ الْعَجِيبِ. وَبَدَا غَيْرَ مُؤْذٍ إِلَى حَدٍّ مَا؛ فَاقْتَرَبَ مِنْهُ أَكْثَرَ. وَأَخِيرًا قَفَزَ بِدَاخِلِهِ؛ فَتَحَرَّكَ؛ فَخَافَ ثرثار بِالطَّبْعِ، وَبَدَأَ يَرْكُضُ إِلَى أَعْلَى، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَصْعَدْ. نَعَمْ، لَمْ يَصْعَدْ؛ فَقَدْ كَانَ دَاخِلَ عَجَلَةٍ مَصْنُوعَةٍ مِنَ السِّلْكِ؛ وَكُلَّمَا رَكَضَ، دَارَتِ الْعَجَلَةُ؛ فَارْتَعَبَ ثرثار، وَكُلَّمَا زَادَ سُرْعَتَهُ، زَادَتْ سُرْعَةُ دَوَرَانِ الْعَجَلَةِ. وَأَخِيرًا اضْطُرَّ لِلتَّوَقُّفِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُتَقَطِّعَ الْأَنْفَاسِ وَمُنْهَكًا إِلَى حَدٍّ مَنَعَهُ مِنَ الرَّكْضِ خُطْوَةً أُخْرَى. فَعِنْدَمَا تَوَقَّفَ، تَوَقَّفَتِ الْعَجَلَةُ.

وَشَيْئًا فَشَيْئًا بَدَأَ ثرثار يَفْهَمُ؛ فَقَدْ صَنَعَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون تِلْكَ الْعَجَلَةَ لِإِتَاحَةِ الْفُرْصَةِ لَهُ كَيْ يَرْكُضَ مِثْلَمَا أَرَادَ وَوَقْتَمَا أَرَادَ. وَحِينَ فَهِمَ ذَلِكَ، صَارَ ثرثار كَأَسْعَدِ مَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي سِجْنٍ. فَكَمْ كَانَتْ مُفَاجَأَةً سَارَّةً! فَكَانَ يَرْكُضُ وَيَرْكُضُ عَلَيْهَا حَتَّى يُضْطَرَّ إِلَى التَّوَقُّفِ لِالْتِقَاطِ أَنْفَاسِهِ. فَتَطَلَّعَ إِلَيْهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون وَضَحِكَ لِرُؤْيَةِ مَدَى السَّعَادَةِ الَّتِي أَدْخَلَهَا عَلَى ثرثار.

الفصل السابع عشر

عَيْنَا طَائِرِ السِّنْدِيَانِ سامي الثَّاقِبَتَانِ

يَعْلَمُ الْجَمِيعُ أَنَّ طَائِرَ السِّنْدِيَانِ سامي يَمْلِكُ عَيْنَيْنِ ثَاقِبَتَيْنِ. بَلْ إِنَّ قِلَّةً قَلِيلَةً مِنْ سُكَّانِ الْغَابَةِ الصِّغَارِ تَمْلِكُ عَيْنَيْنِ ثَاقِبَتَيْنِ كَعَيْنَيْ سامي؛ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَسْتَخْدِمُهُمَا كَثِيرًا؛ فَقَدِ اكْتَشَفَ مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ أَنَّهُ كُلَّمَا اسْتَخْدَمَ عَيْنَيْهِ صَارَتَا ثَاقِبَتَيْنِ أَكْثَرَ؛ وَلِهَذَا فَقَلِيلٌ جِدًّا مِنْ وَقْتِ يَقَظَتِهِ هُوَ الَّذِي يَقْضِيهِ فِي غَيْرِ مُحَاوَلَةِ النَّظَرِ إِلَى شَيْءٍ مَا. فَهُوَ دَائِمُ التَّطَلُّعِ. وَلِهَذَا السَّبَبِ يَكُونُ دَائِمًا عَلَى اطِّلَاعٍ وَاسِعٍ بِمَا يَجْرِي فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ.

وَلَا شَكَّ أَنَّهُ مِنْ غَيْرِ الْمُمْكِنِ أَنْ يَخْتَفِيَ ثرثار دُونَ أَنْ يَفْتَقِدَهُ أَحَدٌ، وَلَا سِيَّمَا سامي. وَبِالطَّبْعِ مِنْ غَيْرِ الْمُمْكِنِ أَنْ يَفْتَقِدَ سامي ثرثار دُونَ أَنْ يَتَسَاءَلَ عَمَّا صَارَ لَهُ. فِي الْبِدَايَةِ، ظَنَّ سامي أَنَّ ثرثار كَانَ مُخْتَبِئًا، وَلَكِنَّهُ بَعْدَ أَنْ أَمْضَى بِضْعَةَ أَيَّامٍ فِي اسْتِرَاقِ النَّظَرِ وَالتَّحْدِيقِ وَالتَّطَلُّعِ فِي أَنْحَاءِ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ، اضْطُرَّ إِلَى التَّفْكِيرِ فِي أَنَّ ثرثار إِمَّا انْتَقَلَ مَرَّةً أُخْرَى أَوْ أَصَابَهُ خَطْبٌ مَا.

فَفَكَّرَ سامي قَائِلًا: «رُبَّمَا يَكُونُ ابْنُ عِرْسٍ شادو قَدْ أَمْسَكَ بِهِ.» فَطَارَ عَلَى الْفَوْرِ إِلَى بُقْعَةٍ مُعَيَّنَةٍ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ يُمْكِنُهُ أَنْ يَجِدَ شادو فِيهَا. وَكَمَا تَوَقَّعَ، وَجَدَ شادو هُنَاكَ. ولَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُمْكِنِ بِالطَّبْعِ أَنْ يَسْأَلَ شادو مُبَاشَرَةً عَمَّا إِذَا كَانَ أَمْسَكَ بِثرثار، وَكَانَ سامي ذَكِيًّا بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ لِمَعْرِفَةِ ذَلِكَ.

فَنَادَاهُ سامي قَائِلًا: «السِّنْجَابُ الْأَحْمَرُ ثرثار يُرْسِلُ تَحِيَّاتِهِ وَيَرْجُو أَنْ تَكُونَ مُسْتَمْتِعًا بِمُطَارَدَتِكَ لَهُ.»

فَرَفَعَ شادو بَصَرَهُ إِلَى سامي، وَقَدِ اشْتَعَلَتْ عَيْنَاهُ الْحَمْرَاوَانِ الصَّغِيرَتَانِ غَضَبًا. ثُمَّ زَمْجَرَ شادو قَائِلًا: «فَلْتُخْبِرْ ثرثار أَنِّي سَأُمْسِكُ بِهِ!»

فَبَرَقَتْ عَيْنَا سامي بِلُؤْمٍ؛ فَقَدْ أَغْضَبَ شادو، إِضَافَةً إِلَى اكْتِشَافِهِ مَا أَرَادَ مَعْرِفَتَهُ؛ فَقَدْ تَأَكَّدَ أَنَّ شادو لَمْ يُمْسِكْ بِثرثار.

ثُمَّ فَكَّرَ سامي قَائِلًا: «وَلَكِنْ مَا الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَهُ؟ لَا أُكِنُّ لَهُ حُبًّا، وَلَكِنِّي أَفْتَقِدُهُ رَغْمَ ذَلِكَ. يَجِبُ أَنْ أَعْرِفَ. أَجَلْ، يَجِبُ ذَلِكَ.»

لِذَا أَمْضَى سامي كُلَّ وَقْتِ فَرَاغِهِ فِي مُحَاوَلَةِ الْعُثُورِ عَلَى ثرثار؛ فَكَانَ يَسْأَلُ كُلَّ مَنْ قَابَلَهُ عَمَّا إِذَا كَانَ قَدْ رَأَى ثرثار، وَاخْتَلَسَ النَّظَرَ وَحَدَّقَ فِي كُلِّ تَجْوِيفٍ وَكُلِّ مَخْبَأٍ خَطَرَ بِبَالِهِ. وَلَكِنَّهُ رَغْمَ بَحْثِهِ وَسُؤَالِهِ، لَمْ يَجِدْ لِثرثار أَثَرًا. وَأَخِيرًا خَطَرَتْ بِبَالِهِ صَوْمَعَةُ الذُّرَةِ لَدَى الْمُزَارِعِ براون. فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ ثرثار قَدِ انْتَقَلَ إِلَى هُنَاكَ أَوْ لَقِيَ مَصِيرًا أَسْوَدَ هُنَاكَ؟ وَمِنْ ثَمَّ، فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ مِنَ الْيَوْمِ التَّالِي، طَارَ سامي إِلَى صَوْمَعَةِ الذُّرَةِ. فَتَفَقَّدَ سَائِرَ أَرْجَائِهَا بِعَيْنَيْهِ الثَّاقِبَتَيْنِ وَأَرْهَفَ السَّمْعَ لِالْتِقَاطِ أَيِّ صَوْتٍ يَدُلُّ عَلَى وُجُودِ ثرثار بِالدَّاخِلِ. وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ صَوْتًا. ثُمَّ تَذَكَّرَ الثَّقْبَ أَسْفَلَ حَافَةِ السَّقْفِ الَّذِي اعْتَادَ ثرثار الدُّخُولَ وَالْخُرُوجَ مِنْهُ؛ فَهُرِعَ سامي لِلنَّظَرِ دَاخِلَهُ، وَوَجَدَهُ مُغْلَقًا بِلَوْحٍ سَمِيكٍ دُقَّتْ عَلَيْهِ مَسَامِيرُ؛ فَعَلِمَ سامي أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون وَجَدَ الثَّقْبَ.

فَهَتَفَ سامي قَائِلًا: «لَقَدْ قَتَلَ ثرثار، هَذَا هُوَ مَا فَعَلَهُ!» ثُمَّ طَارَ إِلَى الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ وَرَأْسُهُ مَلِيءٌ بِأَفْكَارٍ حَزِينَةٍ. وَكَانَ يَنْوِي الِانْتِظَارَ حَتَّى يَخْرُجَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون لِيُخْبِرَهُ بِرَأْيِهِ فِيهِ. وَبَعْدَهَا يَطِيرُ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ لِنَشْرِ الْأَنْبَاءِ الْمُحْزِنَةِ.

وَبَعْدَ بُرْهَةٍ، انْفَتَحَ بَابُ بَيْتِ الْمَزْرَعَةِ، وَخَطَا ابْنُ الْمُزَارِعِ براون خَارِجَهُ. وَكَانَ سامي فَاغِرًا فَاهُ اسْتِعْدَادًا لِلصُّرَاخِ، حِينَ أَبْصَرَتْ عَيْنَاهُ الثَّاقِبَتَانِ شَيْئًا عَجِيبًا؛ فَقَدْ كَانَ يُمْسِكُ صُنْدُوقًا عَجِيبَ الشَّكْلِ بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ وَوَضَعَهُ عَلَى رَفٍّ حَيْثُ يُمْكِنُ لِأَشِعَّةِ الشَّمْسِ أَنْ تَنْفُذَ إِلَيْهِ. وَبَدَا لِسامي كَأَنَّ ثَمَّةَ شَيْئًا يَتَحَرَّكُ دَاخِلَ الصُّنْدُوقِ؛ فَنَسِيَ أَنْ يَصْرُخَ وَيَتَلَفَّظَ بِالْكَلِمَاتِ الْبَذِيئَةِ الَّتِي كَانَ يَنْتَوِي تَوْجِيهَهَا إِلَى ابْنِ الْمُزَارِعِ. وَانْتَظَرَ حَتَّى ذَهَبَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون إِلَى مَخْزَنِ الْحُبُوبِ. ثُمَّ طَارَ سامي إِلَى حَيْثُ يُمْكِنُهُ النَّظَرُ إِلَى دَاخِلِ الصُّنْدُوقِ الْعَجِيبِ. وَهُنَاكَ كَانَ السِّنْجَابُ الْأَحْمَرُ ثرثار!

الفصل الثامن عشر

ثرثار يَتَعَرَّضُ لِلسُّخْرِيَةِ

قَالَ سامي فِيمَا يُشْبِهُ صَرْخَةَ مَرَحٍ؛ إِذْ حَدَّقَ النَّظَرَ فِي ثرثار مِنْ أَعْلَى شَجَرَةِ التُّفَّاحِ، فِي الْقَفَصِ الَّذِي صَنَعَهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون مِنْ أَجْلِهِ: «هَا هَا هَا! هِي هِي هِي! أَخِيرًا وَقَعَ الْمُتَذَاكِي فِي الْفَخِّ!» كَانَ سامي يَشْعُرُ بِارْتِيَاحٍ عَارِمٍ لِمَعْرِفَتِهِ أَنَّ ثرثار مَا زَالَ حَيًّا يُرْزَقُ، وَبِمُتْعَةٍ بَالِغَةٍ لِمَعْرِفَتِهِ أَنَّ ثرثار — الَّذِي طَالَمَا ظَنَّ نَفْسَهُ حَادَّ الذَّكَاءِ — وَقَعَ فِي الْفَخِّ، فَمَا كَانَ فِي وُسْعِهِ سِوَى أَنْ يُعَذِّبَ ثرثار بِالضَّحِكِ مِنْهُ وَالتَّحَدُّثِ إِلَيْهِ بِفَظَاظَةٍ، حَتَّى فَقَدَ ثرثار أَعْصَابَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ كَعَادَتِهِمَا الْقَدِيمَةِ؛ وَهُوَ مَا أَمْتَعَ سامي أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى؛ لِأَنَّهُ بَدَا لَهُ تَمَامًا كَطَبْعِ ثرثار عِنْدَمَا كَانَ شَيْطَانًا صَغِيرًا مُشَاغِبًا طَلِيقًا فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، حَتَّى أَيْقَنَ سامي أَنَّ ثرثار كَانَ بِخَيْرٍ.

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّوَقُّفَ طَوِيلًا لِلسُّخْرِيَةِ مِنْ ثرثار الْمِسْكِينِ؛ فَأَوَّلًا، كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَدْ أَطَلَّ بِرَأْسِهِ مِنْ بَابِ مَخْزَنِ الْحُبُوبِ؛ لِيَرَى سَبَبَ الضَّجَّةِ. وَثَانِيًا، كَانَ سامي يَتَحَرَّقُ شَوْقًا لِنَشْرِ الْأَنْبَاءِ فِي أَنْحَاءِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ؛ فَسامي نَمَّامٌ كَبِيرٌ كَمَا تَعْلَمُونَ، وَكَانَتْ تِلْكَ أَنْبَاءً غَيْرَ عَادِيَّةٍ بِحَقٍّ، وَكَانَ سامي يَعْلَمُ جَيِّدًا أَنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَدِّقَهُ. كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُمْكِنَهُمْ تَصْدِيقُ أَنَّ السَّيِّدَ ثرثار الذَّكِيَّ قَدْ وَقَعَ فِي الْفَخِّ حَقًّا. وَفِعْلًا لَمْ يُصَدِّقْهُ أَحَدٌ.

فَكَانَ سامي يُجِيبُ قَائِلًا: «حَسَنًا. إِنَّ تَصْدِيقَكُمْ مِنْ عَدَمِهِ لَا يَهُمُّنِي مِثْقَالَ ذَرَّةٍ. يُمْكِنُكُمُ الذَّهَابُ إِلَى مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ براون لِتَرَوْهُ فِي السِّجْنِ بِأَنْفُسِكِمْ، تَمَامًا مِثْلَمَا فَعَلْتُ أَنَا.»

وَفِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ جِدًّا مِنْ عَصْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ — عِنْدَمَا سَادَ الْهُدُوءُ فِنَاءَ الْمَزْرَعَةِ — رَأَى ثرثار شَيْئًا مَأْلُوفًا لِلْغَايَةِ خَلْفَ الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ الْقَائِمِ عَلَى أَطْرَافِ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ. وَقَفَزَ ذَلِكَ الشَّيْءُ إِلَى أَعْلَى، ثُمَّ تَوَارَى عَنِ الْأَنْظَارِ مِنْ جَدِيدٍ. وَقَفَزَ إِلَى أَعْلَى ثَانِيَةً، ثُمَّ تَوَارَى عَنِ الْأَنْظَارِ بِالسُّرْعَةِ ذَاتِهَا.

فَقَالَ ثرثار لِنَفْسِهِ: «يَبْدُو لِي كَأَنَّ الْأَرْنَبَ بيتر هُنَاكَ وَيَشْعُرُ بِتَوَتُّرٍ بَالِغٍ.» ثُمَّ نَادَى بِحِدَّةٍ، تَمَامًا مِثْلَمَا كَانَ يَفْعَلُ عِنْدَمَا كَانَ طَلِيقًا فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. وعَلَى الْفَوْرِ ظَهَرَ رَأْسُ بيتر فَجْأَةً، وَظَلَّ ثَابِتًا هَذِهِ الْمَرَّةَ. وَاتَّسَعَتْ عَيْنَا بيتر دَهْشَةً، لَدَى تَحْدِيقِهِ فِي سِجْنِ ثرثار.

ثُمَّ شَهَقَ بيتر كَأَنَّ تَصْدِيقَ عَيْنَيْهِ كَانَ بِالصُّعُوبَةِ ذَاتِهَا كَتَصْدِيقِ سامي، وَقَالَ: «أُوهْ! لَقَدْ كَانَ مُحِقًّا! لَا بُدَّ أَنْ أَذْهَبَ عَلَى الْفَوْرِ لِأَرَى مَا يُمْكِنُ فِعْلُهُ لِتَخْلِيصِ ثرثار مِنْ ذَلِكَ الْمَأْزِقِ.» ثُمَّ إِنَّهُ — نَظَرًا لِكَوْنِهِ فِي وَضَحِ النَّهَارِ، وَلَمْ يَكُنْ يَجْرُؤُ عَلَى الْبَقَاءِ دَقِيقَةً أُخْرَى — لَوَّحَ لِثرثار مُوَدِّعًا وَاتَّجَهَ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ مُطْلِقًا سَاقَيْهِ لِلرِّيحِ.

وَبَعْدَ فَتْرَةٍ قَصِيرَةٍ، ظَهَرَ الثَّعْلَبُ ريدي دُونَ سِوَاهُ فَوْقَ الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ. بَدَتْ تِلْكَ جُرْأَةً بَالِغَةً مِنَ الثَّعْلَبِ ريدي، وَلَكِنَّهُ فِي الْوَاقِعِ لَمْ يَكُنْ جَرِيئًا مِثْلَمَا بَدَا؛ فَقَدْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون وَكَلْبَ الصَّيْدِ باوزر فِي الْمَرْعَى الْقَدِيمِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ شَيْءٌ يَسْتَدْعِي الْخَوْفَ. وَابْتَسَمَ لِثرثار ابْتِسَامَةً مُسْتَفِزَّةً أَيَّمَا اسْتِفْزَازٍ، وَهُوَ مَا أَوْرَثَ ثرثار شُعُورًا بِالْغَضَبِ لِمُجَرَّدِ رُؤْيَتِهِ.

أَنْتَ أَنْتَ أَيُّهَا الْمُتَذَاكِي
تَسُرُّنِي رُؤْيَتُكَ مُعَافًى!
وَكَمَا تَرَى فَالْجَوُّ بَدِيعٌ
فَلِمَ لَا تَأْتِي لِتَتَمَشَّى مَعِي؟

كَانَ هَذَا مَا قَالَهُ الثَّعْلَبُ ريدي، وَهُوَ يَعْلَمُ طَوَالَ الْوَقْتِ أَنَّ ثرثار لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَتَمَشَّى مَعَ أَحَدٍ. فَفِي الْبِدَايَةِ، عَنَّفَهُ ثرثار وَسَبَّهُ بِكُلِّ الشَّتَائِمِ الَّتِي خَطَرَتْ عَلَى بَالِهِ، وَلَكِنَّهُ بَعْدَ بُرْهَةٍ لَمْ يَعُدْ يَشْعُرُ بِالرَّغْبَةِ فِي تَعْنِيفِهِ. بَلْ إِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ نِصْفَ مَا قَالَهُ الثَّعْلَبُ ريدي مِنْ

أَشْيَاءَ لَئِيمَةٍ؛ فَقَدْ كَانَ يَزْدَادُ إِدْرَاكًا لِحَقِيقَةِ أَنَّهُ لَا شَيْءَ يُمْكِنُهُ أَنْ يُعَوِّضَهُ عَنِ الْحُرِّيَّةِ؛ فَقَدْ كَانَ لَدَيْهِ بَيْتٌ مُرِيحٌ، وَطَعَامٌ وَافِرٌ، وَكَانَ فِي مَأْمَنٍ مِنَ الْأَذَى، وَلَكِنَّهُ كَانَ سَجِينًا، وَحُضُورُ أُولَئِكَ الزُّوَّارِ جَعَلَهُ يُدْرِكُ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى؛ فَاغْرَوْرَقَتْ عَيْنَاهُ بِمَا يُشْبِهُ الدُّمُوعَ، وَتَسَلَّلَ إِلَى الْجِذْعِ الْأَجْوَفِ حَيْثُ لَا يُمْكِنُهُ رُؤْيَةُ أَحَدٍ وَلَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ رُؤْيَتُهُ.

الفصل التاسع عشر

الْأَرْنَبُ بيتر يُحَاوِلُ الْمُسَاعَدَةَ

إِنَّ الْأَرْنَبَ بيتر مِنْ أَطْيَبِ سُكَّانِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ أَوِ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ الصِّغَارِ؛ فَهُوَ خَالِي الْبَالِ، وَدَائِمًا مَا يُوقِعُهُ فُضُولُهُ الْبَغِيضُ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْمَتَاعِبِ. وَرُبَّمَا يَكُونُ وُقُوعُهُ هُوَ نَفْسِهِ فِي مَآزِقَ عَدِيدَةٍ هُوَ سَبَبَ إِشْفَاقِهِ عَلَى الْآخَرِينَ الَّذِينَ يَقَعُونَ فِي الْمَتَاعِبِ. وَعَلَى أَيِّ حَالٍ، فَالْأَرْنَبُ بيتر مَا إِنْ يَسْمَعْ أَنَّ أَحَدَهُمْ وَقَعَ فِي مُشْكِلَةٍ، حَتَّى يَبْدَأَ فِي التَّفْكِيرِ فِي كَيْفِيَّةِ مُسَاعَدَتِهِ؛ لِذَا فَإِنَّهُ مَا كَادَ يَعْرِفُ أَنَّ طَائِرَ السِّنْدِيَانِ سامي كَانَ يَقُولُ الْحَقِيقَةَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالسِّنْجَابِ الْأَحْمَرِ ثرثار، وَأَنَّ ثرثار كَانَ مَسْجُونًا بِالْفِعْلِ فِي مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ براون، حَتَّى بَدَأَ يُفَكِّرُ وَيُفَكِّرُ فِي وَسِيلَةٍ لِمُسَاعَدَتِهِ.

وَلَمْ يَكُنْ بيتر يَعْرِفُ بِالطَّبْعِ نَوْعَ السِّجْنِ الَّذِي كَانَ ثرثار مَحْبُوسًا فِيهِ. وَقَدْ تَذَكَّرَ عَلَى الْفَوْرِ كَيْفَ أَنَّ الشَّيْهَمَ الْبَدِينَ بريكلي بوركي أَخَذَ يَقْرِضُ الصُّنْدُوقَ الَّذِي احْتَفَظَ فِيهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون بِرَضِيعِ الْخُلْدِ جوني الْمَفْقُودِ وَأَحْدَثَ فِيهِ ثَقْبًا كَبِيرًا. فَلِمَ لَا يَفْعَلُ بريكلي بوركي الشَّيْءَ ذَاتَهُ لِثرثار؟ سَيَذْهَبُ لِرُؤْيَتِهِ حَالًا. وَمُشْكِلَةُ بيتر أَنَّهُ لَا يُفَكِّرُ فِي الْمُشْكِلَةِ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهَا، فَهُوَ مُنْدَفِعٌ؛ أَيْ إِنَّهُ يَمْضِي قُدُمًا فِي أَوَّلِ شَيْءٍ يَخْطُرُ عَلَى بَالِهِ، وَأَحْيَانًا لَا يَكُونُ ذَلِكَ السَّبِيلُ هُوَ الْأَكْثَرَ حِكْمَةً أَوِ الْأَفْضَلَ؛ لِذَا فَقَدْ هُرِعَ إِلَى دَاخِلِ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ مُطْلِقًا سَاقَيْهِ الطَّوِيلَتَيْنِ لِلرِّيحِ، بَحْثًا عَنْ بريكلي بوركي. وَلَمْ يُوَاجِهْ صُعُوبَةً فِي إِيجَادِهِ، فَمَا كَانَ عَلَيْهِ سِوَى تَتَبُّعِ صَفِّ الْأَشْجَارِ الْمُجَرَّدَةِ مِنْ لِحَائِهَا.

وَقَالَ لَهُ بيتر، مُتَحَدِّثًا بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ؛ إِذْ كَانَ مُتَقَطِّعَ الْأَنْفَاسِ: «مَسَاءُ الْخَيْرِ يَا بريكلي بوركي. هَلْ بَلَغَتْكَ أَنْبَاءُ ثرثار؟»

فَأَجَابَهُ بريكلي بوركي: «نَعَمْ. لَقَدْ نَالَ مَا يَسْتَحِقُّهُ. أَرْجُو أَنْ يَتَعَلَّمَ دَرْسًا.»

فَسَقَطَ قَلْبُ بيتر، وَسَأَلَ: «أَلَا تَظُنُّهُ أَمْرًا مُفْزِعًا؟» ثُمَّ قَالَ: «فَلْتُفَكِّرْ فَقَطْ فِي أَنَّهُ لَنْ يَسْتَطِيعَ أَبَدًا الْجَرْيَ وَاللَّعِبَ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ ثَانِيَةً، مَا لَمْ نَتَمَكَّنْ مِنْ إِخْرَاجِهِ.»

فَنَخَرَ بريكلي بوركي بِأَنْفِهِ قَائِلًا: «هَذَا أَفْضَلُ، هَذَا أَفْضَلُ؛ فَلَطَالَمَا كَانَ مُزْعِجًا. لَمْ يَسْبِقْ لِي قَطُّ أَنْ رَأَيْتُ أَحَدًا يُحِبُّ إِيقَاعَ غَيْرِهِ فِي الْمَتَاعِبِ مِثْلَهُ. نَعَمْ، لَمْ أَرَ ذَلِكَ قَطُّ. وَالْآنَ يُمْكِنُ لِبَقِيَّتِنَا أَنْ يَنْعَمُوا بِالسَّلَامِ. لَقَدْ نَالَ مَا يَسْتَحِقُّهُ.» وَوَاصَلَ بريكلي بوركي مَضْغَ اللِّحَاءِ كَأَنَّ وَرْطَةَ ثرثار لَمْ تَكُنْ تَعْنِيهِ.

فَسَقَطَ قَلْبُ بيتر أَكْثَرَ مِنْ ذِي قَبْلُ. وَحَكَّ أُذُنَهُ الطَّوِيلَةَ بِقَدَمِهِ الْخَلْفِيَّةِ الطَّوِيلَةِ، وَهِيَ عَادَتُهُ عِنْدَمَا يَكُونُ غَارِقًا فِي التَّفْكِيرِ. وَكَانَ شَدِيدَ الِانْشِغَالِ بِالتَّفْكِيرِ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَرَ وَمِيضَ عَيْنَيْ بريكلي بوركي الصَّغِيرَتَيْنِ الشَّاحِبَتَيْنِ، الَّذِي لَمْ يَكُنْ فِي الْحَقِيقَةِ قَاسِيَ الْقَلْبِ مِثْلَمَا بَدَا مِنْ كَلَامِهِ. وَبَعْدَ فَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ، أَخَذَ بيتر يُفَكِّرُ خِلَالَهَا بَيْنَمَا كَانَ بريكلي بوركي يَأْكُلُ وَيَأْكُلُ، تَحَدَّثَ الْأَخِيرُ مُجَدَّدًا.

فَسَأَلَ: «فِيمَ تُفَكِّرُ يَا بيتر؟»

فَأَجَابَهُ بيتر عَلَى اسْتِحْيَاءٍ: «كُ... كُنْتُ أُفَكِّرُ كَمْ يَكُونُ رَائِعًا حَقًّا أَنْ تَذْهَبَ إِلَى هُنَاكَ وَتَقْرِضَ سِجْنَ ثرثار حَتَّى تَصْنَعَ لَهُ مَخْرَجًا.»

فَنَخَرَ بريكلي بوركي بِأَنْفِهِ قَائِلًا: «هَهْ! هَهْ! يَظُنُّنِي الْبَعْضُ غَبِيًّا، وَلَكِنِّي أَذْكَى مِنْ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ. فَلْتُفَكِّرْ فِي الْأَمْرِ جِدِّيًّا أَيُّهَا الْأَرْنَبُ بيتر.»

فَأَصَرَّ بيتر قَائِلًا: «أَنْتَ لَا تَخَافُ كَلْبَ الصَّيْدِ باوزر وَلَا ابْنَ الْمُزَارِعِ براون، بَيْنَمَا يَخَافُهُمَا كُلُّ مَنْ عَدَاكَ، سِوَى الظَّرِبَانِ جيمي، لِمَ لَا إِذَنْ؟»

فَرَدَّ عَلَيْهِ بريكلي بوركي قَائِلًا: «لِسَبَبٍ وَجِيهٍ؛ هُوَ أَنَّهُ إِذَا أَمْكَنَ لِي أَنْ أَقْرِضَ سِجْنَ ثرثار لِأَصْنَعَ مَدْخَلًا فَسَيُمْكِنُ لَهُ أَنْ يَقْرِضَهُ حَتَّى يَصْنَعَ مَخْرَجًا. فَإِذَا كَانَ لَا يُمْكِنُهُ صُنْعُ مَخْرَجٍ بِأَسْنَانِهِ الْحَادَّةِ، فَلَنْ يُمْكِنَنِي ذَلِكَ بِالتَّأْكِيدِ. أَيْنَ عَقْلُكَ أَيُّهَا الْأَرْنَبُ بيتر؟»

فَأَجَابَهُ بيتر بِبُطْءٍ وَأَسَفٍ: «هَكَذَا! لَمْ يَخْطُرْ ذَلِكَ بِبَالِي. لَا بُدَّ أَنْ أُفَكِّرَ فِي وَسِيلَةٍ أُخْرَى أُسَاعِدُ بِهَا ثرثار.»

فَقَالَ بريكلي بوركي — إِذْ لَمْ يُرِدْ أَنْ يَظُنَّهُ بيتر قَاسِيَ الْقَلْبِ حَقًّا كَمَا بَدَا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ: «كَانَ بِوُدِّي أَنْ أُحَاوِلَ لَوْ كَانَ الْأَمْرُ مُجْدِيًا. وَلَكِنَّهُ لَيْسَ مُجْدِيًا.»

فَلَوَّحَ بيتر مُوَدِّعًا بريكلي بوركي وَاتَّجَهَ إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ؛ لِكَيْ يُحَاوِلَ التَّفْكِيرَ فِي وَسِيلَةٍ أُخْرَى يُسَاعِدُ بِهَا ثرثار. وَأَيْقَظَ فِي طَرِيقِهِ الْعَمَّ بيلي الْأَبُوسُومَ وَالرَّاكُونَ بوبي، وَلَكِنَّهُمَا عَجَزَا عَنْ تَقْدِيمِ أَيِّ مُسَاعَدَةٍ؛ فَتَنَهَّدَ بيتر قَائِلًا: «حَقًّا لَا أَرَى وَسِيلَةً لِمُسَاعَدَتِهِ.» وَكَانَتْ تِلْكَ هِيَ الْحَقِيقَةَ.

الفصل العشرون

مُفاجَأَةٌ رَائِعَةٌ أُخْرَى لِثرثار

لَمْ يَتَلَقَّ ثرثار مُفَاجَآتٍ — مُفَاجَآتٍ سَارَّةً — فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا قَدْرَ الْمُفَاجَآتِ الَّتِي حَظِيَ بِهَا مُنْذُ يَوْمِ وُقُوعِهِ فِي الْمِصْيَدَةِ فِي صَوْمَعَةِ الْمُزَارِعِ براون. أَوَّلًا: كَانَتْ مُفَاجَأَةً رَائِعَةً لَهُ أَنَّهُ لَمْ يُسَلَّمْ إِلَى بوسي السَّوْدَاءِ، مِثْلَمَا تَوَقَّعَ تَمَامًا. ثُمَّ كَانَتِ الْمُفَاجَأَةُ الْأَرْوَعُ هِيَ اكْتِشَافَهُ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون أَلْطَفُ كَثِيرًا مِمَّا ظَنَّ. وَالْمُفَاجَأَةُ التَّالِيَةُ كَانتِ الْعَجَلَةَ الْمَصْنُوعَةَ مِنَ الْأَسْلَاكِ الَّتِي وُضِعَتْ فِي قَفَصِهِ، حَتَّى يُمْكِنَهُ أَنْ يَجْرِيَ مَتَى شَاءَ. وَكَانَتْ تِلْكَ حَقًّا مُفَاجَأَةً سَارَّةً وَغَيْرَ مُتَوَقَّعَةٍ بِالْمَرَّةِ؛ حَتَّى إِنَّهَا غَيَّرَتْ مَشَاعِرَهُ تِجَاهَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ.

وَالْوَاقِعُ أَنَّ ثرثار كَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ سَعِيدًا حَقًّا لَوْلَا أَمْرٌ وَاحِدٌ؛ أَنَّهُ كَانَ سَجِينًا. أَجَلْ، كَانَ سَجِينًا، وَلَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَنْسَى ذَلِكَ لِلَحْظَةٍ مَا دَامَ مُسْتَيْقِظًا؛ فَكَانَ يَتَطَلَّعُ إِلَى ابْنِ الْمُزَارِعِ براون وَيَتَمَنَّى مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ لَوْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُفْهِمَهُ مَدَى بَشَاعَةِ أَنْ تَكُونَ سَجِينًا، وَلَكِنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون لَمْ يَفْهَمْ مَا كَانَ ثرثار يَقُولُهُ، مَهْمَا اجْتَهَدَ ثرثار فِي مُحَاوَلَةِ إِفْهَامِهِ. فَبَدَا كَأَنَّهُ يَظُنُّ ثرثار سَعِيدًا؛ فَقَدْ عَجَزَ عَنْ تَفَهُّمِ أَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ مِنْ أَشْيَاءَ جَمِيلَةٍ لَا يُمْكِنُهُ تَعْوِيضُ فِقْدَانِ الْحُرِّيَّةِ؛ أَيْ إِنَّهُ أَفْضَلُ لِلْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ حُرًّا، وَإِنْ كَانَ يُعَانِي الْجُوعَ وَالْبَرْدَ، مِنْ أَنْ يَكُونَ سَجِينًا لَدَيْهِ كُلُّ سُبُلِ الرَّاحَةِ.

وَكَانَ ثرثار يَتَحَمَّلُ الْوَضْعَ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ وَيَتَقَبَّلُهُ حَتَّى وَجَدَهُ طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي، وَسَخِرَ مِنْهُ الثَّعْلَبُ ريدي، وَنَظَرَ إِلَيْهِ الْأَرْنَبُ بيتر خِلْسَةً مِنْ وَرَاءِ الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ. فَمَشْهَدُ ذَهَابِهِمْ وَإِيَابِهِمْ أَيْنَمَا وَوَقْتَمَا أَرَادُوا كَانَ فِي حَدِّ ذَاتِهِ يَفُوقُ قُدْرَةَ ثرثار عَلَى

التَّحَمُّلِ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ بِحَنِينٍ جَارِفٍ إِلَى الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ، أَعْجَزَهُ عَنِ التَّفْكِيرِ فِي أَيِّ شَيْءٍ آخَرَ؛ فَقَدْ كَانَ يَكْتَفِي بِالْجُلُوسِ فِي أَحَدِ أَرْكَانِ قَفَصِهِ بَادِيًا عَلَيْهِ مَا شَعَرَ بِهِ مِنْ تَعَاسَةٍ. وَفَقَدَ شَهِيَّتَهُ. وَكَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يُحْضِرُ لَهُ أَكْبَرَ ثَمَرَاتِ الْجَوْزِ وَغَيْرَهَا مِمَّا لَذَّ وَطَابَ دُونَ جَدْوَى؛ فَقَدْ مَنَعَهُ مِنَ الْأَكْلِ مَا مَلَأَ قَلْبَهُ مِنْ شَوْقٍ شَدِيدٍ إِلَى الْحُرِّيَّةِ كَادَ يَفْطُرُ قَلْبَهُ. فَمَا عَادَ يَهْتَمُّ بِالرَّكْضِ دَاخِلَ الْعَجَلَةِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي مَنَحَتْهُ سَعَادَةً جَمَّةً فِي الْبِدَايَةِ؛ فَقَدْ كَانَ يَحِنُّ إِلَى بَيْتِهِ أَشَدَّ الْحَنِينِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ تَمَالُكَ نَفْسِهِ.

وَقَدْ لَاحَظَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون ذَلِكَ، وَلَاحَ عَلَى وَجْهِهِ الْجِدِّيَّةُ وَالتَّفْكِيرُ. وَكَانَ يُرَاقِبُ ثرثار دُونَ أَنْ يَعْلَمَ الْأَخِيرُ بُوُجُودِهِ، وحَتَّى إِنْ كَانَ لَمْ يَسْتَطِعْ فَهْمَ كَلَامِ ثرثار، فَقَدْ أَمْكَنَهُ فَهْمُ تَصَرُّفَاتِهِ؛ فَعَلِمَ أَنَّهُ حَزِينٌ، وَخَمَّنَ السَّبَبَ. وَذَاتَ صَبَاحٍ لَمْ يَخْرُجْ ثرثار مِنْ جِذْعِ الشَّجَرَةِ الْأَجْوَفِ مِثْلَمَا يَفْعَلُ عَادَةً عِنْدَمَا يُوضَعُ قَفَصُهُ عَلَى الرَّفِّ أَمَامَ بَابِ بَيْتِ الْمَزْرَعَةِ؛ فَهُوَ لَمْ يَشْعُرْ بِرَغْبَةٍ فِي الْخُرُوجِ، وَظَلَّ مُتَكَوِّرًا عَلَى نَفْسِهِ فِي فِرَاشِهِ لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ جِدًّا؛ فَقَدْ كَانَ مِنْ فَرْطِ حُزْنِهِ وَبُؤْسِهِ لَا يَقْوَى عَلَى الْحَرَكَةِ. وَأَخِيرًا نَهَض مُتَبَاطِئًا وَاسْتَرَقَ النَّظَرَ إِلَى خَارِجِ الْمَدْخَلِ الصَّغِيرِ الْمُسْتَدِيرِ. ثُمَّ أَطْلَقَ شَهْقَةً خَافِتَةً وَفَرَكَ عَيْنَيْهِ. أَكَانَ يَحْلُمُ؟ ثُمَّ هُرِعَ إِلَى الْخَارِجِ وَاسْتَرَقَ النَّظَرَ عَبْرَ أَسْلَاكِ قَفَصِهِ. ثُمَّ فَرَكَ عَيْنَيْهِ مُجَدَّدًا وَأَسْرَعَ لِلطَّرَفِ الْمُقَابِلِ مِنَ الْقَفَصِ لِيُلْقِيَ نَظْرَةً أُخْرَى؛ فَقَفَصُهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى الرَّفِّ الْمُعْتَادِ مُطْلَقًا! بَلْ كَانَ عَلَى الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْمُغَطَّى بِالثُّلُوجِ الْقَائِمِ عَلَى أَطْرَافِ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ.

بَلَغَتِ اللَّهْفَةُ بِثرثار مَبْلَغًا جَعَلَهُ لَا يَدْرِي مَاذَا يَفْعَلُ. وَرَكَضَ فِي أَرْجَاءِ الْقَفَصِ. ثُمَّ قَفَزَ عَلَى الْعَجَلَةِ وَأَدَارَهَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى. وَعِنْدَمَا بَلَغَ مِنْهُ الْإِنْهَاكُ مَبْلَغًا حَالَ دُونَ أَنْ يَرْكُضَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَفَزَ مِنْ عَلَيْهَا. وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ اكْتَشَفَ شَيْئًا لَمْ يَلْحَظْهُ مِنْ قَبْلُ؛ فَقَدْ كَانَ الْبَابُ الصَّغِيرُ أَعْلَى قَفَصِهِ مَفْتُوحًا! لَا بُدَّ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون نَسِيَ أَنْ يُوصِدَهُ عِنْدَمَا أَدْخَلَ إِفْطَارَ ثرثار؛ فَنَسِي ثرثار تَعَبَهُ، وَخَرَجَ كَوَمْضَةٍ حَمْرَاءَ صَغِيرَةٍ وَجَرَى عَلَى الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْمُغَطَّى بِالثُّلُوجِ مُتَّجِهًا إِلَى بَيْتِهِ فِي الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ مُبَاشَرَةً.

وَصَاحَ أَثْنَاءَ رَكْضِهِ: «مَرْحَى! مَرْحَى! مَرْحَى!»

الفصل الحادي والعشرون

الصَّوْتُ الْخَافِتُ بِدَاخِلِ ثرثار

كَانَ أَوَّلَ مَنْ رَأَى ثرثار مِنْ سُكَّانِ الْمُرُوجِ وَالْغَابَةِ الصِّغَارِ بَعْدَ أَنْ وَصَلَ سَالِمًا إِلَى الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ طَائِرُ الْقَرْقَفِ تومي. وَمَا حَدَثَ هُوَ أَنَّ تومي كَانَ مُنْهَمِكًا لِلْغَايَةِ فِي الْعَمَلِ بِشَجَرَةِ التُّفَّاحِ ذَاتِهَا؛ حَيْثُ كَانَ الْبَيْتُ الْقَدِيمُ لِنَقَّارِ الْخَشَبِ درامر عِنْدَمَا وَصَلَ ثرثار إِلَيْها. فَكَمَا تَعْلَمُونَ كَانَ ثرثار قَدِ انْتَقَلَ إِلَى تِلْكَ الشَّجَرَةِ لِقَضَاءِ مَوْسِمِ الشِّتَاءِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِكَ بِهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون فِي صَوْمَعَةِ الذُّرَةِ.

كَانَ تومي مُنْهَمِكًا فِي الْعَمَلِ لِلْغَايَةِ فِعْلًا. كَانَ مُنْهَمِكًا لِدَرَجَةِ أَنَّهُ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ حِدَّةِ بَصَرِ عَيْنَيْهِ الْبَرَّاقَتَيْنِ، لَمْ يَرَ ثرثار يَجْرِي عَلَى الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ الْمُغَطَّى بِالثُّلُوجِ. وَلَمْ يَرَهُ تومي مُطْلَقًا قَبْلَ سَمَاعِهِ صَوْتَ مَخَالِبِ ثرثار عَلَى جِذْعِ شَجَرَةِ التُّفَّاحِ؛ فَأَصَابَتْهُ دَهْشَةٌ بَالِغَةٌ جَعَلَتْهُ يَفْقِدَ تَوَازُنَهُ وَكَادَ يَدُورُ فِي الْهَوَاءِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِكَ بِغُصْنٍ آخَرَ؛ فَقَدْ كَانَ يَعْرِفُ كُلَّ مَا أَصَابَ ثرثار، وَأَنَّهُ صَارَ سَجِينًا لَدَى ابْنِ الْمُزَارِعِ براون.

فَتَسَاءَلَ مُتَعَجِّبًا: «عَجَبًا! عَجَبًا! أَهَذَا أَنْتَ حَقًّا يَا ثرثار؟ كَيْفَ خَرَجْتَ مِنْ سِجْنِكَ؟ أَنَا مَسْرُورٌ، مَسْرُورٌ جِدًّا لِخُرُوجِكَ.»

فَهَزَّ ثرثار ذَيْلَهُ بِطَرِيقَتِهِ الْمُفْعَمَةِ بِالْحَيَوِيَّةِ، وَوَمَضَتْ عَيْنَاهُ. كَانَتْ تِلْكَ أَفْضَلَ فُرْصَةٍ سَنَحَتْ لَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِلتَّفَاخُرِ وَالتَّبَجُّحِ. فَيُمْكِنُهُ إِخْبَارُ تومي كَمْ كَانَ ذَكِيًّا؛ ذَكِيًّا إِلَى حَدِّ الْهُرُوبِ مِنِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون؛ وَمِنْ ثَمَّ يُخْبِرُ تومي غَيْرَهُ مِنَ السُّكَّانِ الصِّغَارِ، وَهَكَذَا يَتَخَيَّلُهُ الْجَمِيعُ ذَكِيًّا كَالْعَمِّ بيلي الْأَبُوسُومِ؛ فَهُوَ كَمَا تَعْلَمُونَ كَانَ ذَكِيًّا بِمَا يَكْفِي لِلْإِفْلَاتِ مِنِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون بَعْدَ أَنْ أَمْسَكَ بِهِ. فَالْجَمِيعُ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ حَبِيسًا،

وَالْآنَ بَعْدَ أَنْ صَارَ طَلِيقًا، سَيُصَدِّقُ الْجَمِيعُ أَيَّ شَيْءٍ يُخْبِرُهُمْ بِهِ عَنْ كَيْفِيَّةِ خُرُوجِهِ. لَمْ تَتَسَنَّ لَهُ مِنْ قَبْلُ فُرْصَةٌ كَهَذِهِ لِجَعْلِ أَصْدِقَائِهِ وَجِيرَانِهِ يَقُولُونَ: «يَا لَهُ مِنْ سِنْجَابٍ ذَكِيٍّ!»

فَقَالَ ثرثار: «أَنَا ... أَنَا ...» ثُمَّ سَكَتَ عَنِ الْكَلَامِ. ثُمَّ وَاصَلَ حَدِيثَهُ قَائِلًا: «مَا حَدَثَ كَانَ أَنَّهُ ... أَنَا ... أَنَا ...» فَلِسَبَبٍ مَا، لَمْ يَسْتَطِعْ ثرثار قَوْلَ مَا كَانَ يَنْوِي قَوْلَهُ. وَبَدَا كَأَنَّ عَيْنَيْ تومي اللَّامِعَتَيْنِ الْمَرِحَتَيْنِ كَانَتَا تَخْتَرِقَانِ عَقْلَهُ وَقَلْبَهُ، وكَأَنَّ بِإِمْكَانِهِمَا قِرَاءَةَ أَفْكَارِهِ ذَاتِهَا. وَلَكِنْ بِالطَّبْعِ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ بِالْإِمْكَانِ؛ فَالْحَقُّ أَنَّ الصَّوْتَ الْخَافِتَ الْخَفِيضَ بِدَاخِلِهِ — الَّذِي كَثِيرًا مَا كَانَ ثرثار يَرْفُضُ الِاسْتِمَاعَ إِلَيْهِ مَتَى تَرَاءَى لَهُ أَنْ يُسِيءَ التَّصَرُّفَ — كَانَ يُحَدِّثُهُ ثَانِيَةً. وَكَانَ يَقُولُ لَهُ: «يَا لَلْعَارِ يَا ثرثار! يَا لَلْعَارِ! قُلِ الْحَقِيقَةَ. قُلِ الْحَقِيقَةَ.» وَكَانَ ذَلِكَ الصَّوْتُ الْخَافِتُ هُوَ مَا جَعَلَ ثرثار يَتَرَدَّدُ وَيَتَوَقَّفُ عَنِ الْكَلَامِ.

فَسَأَلَهُ تومي: «هَلْ تَقْصِدُ أَنَّكَ كُنْتَ ذَكِيًّا بِمَا فِيهِ الْكِفَايَةُ لِخِدَاعِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون وَالْخُرُوجِ مِنْ ذَلِكَ السِّجْنِ الصَّغِيرِ الْمَتِينِ الَّذِي صَنَعَهُ لَكَ؟»

فَأَجَابَهُ ثرثار، قَبْلَ أَنْ يُفَكِّرَ: «كَلَّا، كَلَّا، لَمْ أَفْعَلْ. الْحَقِيقَةُ يَا تومي أَنَّهُ تَرَكَ الْبَابَ مَفْتُوحًا عَنْ قَصْدٍ. لَقَدْ أَطْلَقَ سَرَاحِي؛ فَابْنُ الْمُزَارِعِ براون أَطْيَبُ كَثِيرًا مِمَّا يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ.»

فَضَحِكَ تومي قَائِلًا: «هَا هَا هَا. لَطَالَمَا قُلْتُ ذَلِكَ لِكَثِيرٍ مِنْكُمْ، وَلَكِنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَمْ يُصَدِّقْنِي. أَظُنُّكَ عَرَفْتَ ذَلِكَ الْآنَ. وَأَنَا لَا أَشْعُرُ تِجَاهَهُ بِذَرَّةٍ مِنَ الْخَوْفِ — وَلَا أَدْنَى ذَرَّةٍ مِنَ الْخَوْفِ. لَوْ أَنَّ سُكَّانَ الْغَابَةِ وَالْمُرُوجِ الصِّغَارَ وَثِقُوا بِهِ، بَدَلًا مِنْ أَنْ يَهْرُبُوا مِنْهُ، لَصَارَ أَعَزَّ أَصْدِقَائِنَا.»

فَرَدَّ عَلَيْهِ ثرثار فِي رِيبَةٍ: «رُبَّمَا! لَقَدْ أَحْسَنَ مُعَامَلَتِي لِلْغَايَةِ عِنْدَمَا كُنْتُ سَجِينًا لَدَيْهِ، وَ... وَأَنَا لَا أَخَافُهُ كَثِيرًا الْآنَ. إِلَّا أَنَّنِي لَا أَنْوِي أَنْ أَدَعَهُ يُمْسِكُ بِي ثَانِيَةً.»

فَقَالَ تومي: «هَاهْ! هَاهْ! كَمْ أُحِبُّ أَنْ آكُلَ مِنْ يَدِهِ.»

فَرَدَّ عَلَيْهِ ثرثار بِحَسْمٍ قَائِلًا: «مِنَ السَّهْلِ عَلَيْكَ أَنْ تَقُولَ ذَلِكَ، بَيْنَمَا تَطِيرُ فِي الْجَوِّ طَلِيقًا، وَلَكِنِّي لَا أَظُنُّكَ تَجْرُؤُ عَلَى الذَّهَابِ إِلَى مَنْزِلِهِ لَتُثْبِتَ مَا تَقُولُهُ.»

فَأَجَابَهُ تومي قَائِلًا: «لَا يُمْكِنُنِي ذَلِكَ الْآنَ. لَدَيَّ الْكَثِيرُ لِأَفْعَلَهُ مِنْ أَجْلِهِ الْآنَ، وَلَكِنِّي سَأُرِيكَ يَوْمًا مَا. يَا لَلْهَوْلِ! هَا أَنَا ذَا أُضَيِّعُ الْوَقْتَ فِي الْحَدِيثِ وَلَدَيَّ عَمَلٌ كَثِيرٌ. فَأَنَا أُنَظِّفُ أَشْجَارَ التُّفَّاحِ مِنْ بَيْضِ الْحَشَرَاتِ.»

وَصَاحَ صَوْتٌ مِنْ خَلْفِهِ قَائِلًا: «هَا هَا هَا! فَلْتَذْهَبْ أَيُّهَا الشَّقِيُّ الْأَحْمَرُ الصَّغِيرُ.»

فَتَأَكَّدَ ثرثار أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون لَمْ يَتْرُكِ الْبَابَ مَفْتُوحًا خَطَأً، وَإِنَّمَا مَنَحَهُ حُرِّيَّتَهُ، وَحِينَئِذٍ عَرَفَ أَنَّهُمَا سَيَكُونَانِ صَدِيقَيْنِ عَزِيزَيْنِ.

الفصل الثاني والعشرون

طَائِرُ الْقَرْقَفِ تومي يُحَقِّقُ مَا تَفَاخَرَ بِهِ

ظَلَّ تومي يُرَدِّدُ أَثْنَاءَ تَحْلِيقِهِ فَوْقَ الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ عَبْرَ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْفِنَاءِ الْأَمَامِيِّ لِمَنْزِلِ الْمُزَارِعِ براون، وَقَدِ اصْطَبَغَ صَوْتُهُ بِالْبَهْجَةِ: «صَوْ صَوْ صَوْ! انْظُرُوا إِلَيَّ! انْظُرُوا إِلَيَّ!» وَكَانَ صَوْتُهُ فِي الْوَاقِعِ هُوَ الصَّوْتَ الْأَكْثَرَ مَرَحًا وَبَهْجَةً فِي ذَاكَ الصَّبَاحِ الْمُشْرِقِ الْقَارِسِ الْبُرُودَةِ. لَا شَكَّ أَنَّهُ كَانَتْ ثَمَّةَ أَصْوَاتٌ أُخْرَى، لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ مَرِحَةً أَوْ مُبْتَهِجَةً. فَكَانَ هُنَاكَ صَوْتُ طَائِرِ السِّنْدِيَانِ سامي، وَلَكِنَّهُ بَدَا نَكِدًا مُسْتَاءً. وَتَرَدَّدَ صَوْتُ الْغُرَابِ بلاكي، لَكِنَّهُ كَانَ خَشِنًا مُزْعِجًا. وَكَذَلِكَ صَوْتُ السِّنْجَابِ الْأَحْمَرِ ثرثار، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَتَذَمَّرُ كَعَادَتِهِ، ولَمْ يَكُنْ صَوْتُهُ يَبْعَثُ عَلَى السُّرُورِ.

فَمَا كَانَ مِنْ أَيٍّ مِمَّنْ سَمِعُوا صَوْتَ تومي الْمُبْتَهِجِ ذَاكَ الصَّبَاحَ الشَّتْوِيَّ الْبَارِدَ إِلَّا أَنْ يَبْتَسِمَ. أَجَلْ، مَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يَبْتَسِمُوا، حَتَّى طَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي وَالْغُرَابُ بلاكي. فَجَمِيعُهُمْ لَمْ يَسْتَطِيعُوا تَمَالُكَ أَنْفُسِهِمْ مِنَ الِابْتِسَامِ. وَعِنْدَمَا بَلَغَ تومي الْجِدَارَ الْحَجَرِيَّ الَّذِي يَفْصِلُ الْبُسْتَانَ الْقَدِيمَ عَنْ فِنَاءِ مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ براون، مَا لَبِثَتْ عَيْنَاهُ الثَّاقِبَتَانِ أَنْ أَبْصَرَتَا الْأَرْنَبَ بيتر وَالسِّنْجَابَ الرَّمَادِيَّ جاك السَّعِيدَ، وَثرثار مُخْتَبِئِينَ فِي الْجِدَارِ الْقَدِيمِ؛ حَيْثُ يُمْكِنُهُمُ الْإِطْلَالُ بِرُءُوسِهِمْ وَرُؤْيَةُ كُلِّ مَا يَحْدُثُ فِي الْفِنَاءِ الْأَمَامِيِّ لِمَنْزِلِ الْمُزَارِعِ براون. وَإِذْ نَظَرَ إِلَى الْخَلْفِ عَبْرَ الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ رَأَى مَا بَدَا لَهُ كَقِطْعَةٍ صَغِيرَةٍ مِنَ السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ تُرَفْرِفُ فِي صَمْتٍ مِنْ شَجَرَةٍ إِلَى شَجَرَةٍ. وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ سامي. وَبِالْأَعْلَى فِي قِمَّةِ شَجَرَةِ قَيْقَبٍ عَالِيَةٍ، مِنْ عَلَى بُعْدٍ، كَانَتْ ثَمَّةَ بُقْعَةٌ سَوْدَاءُ. وَلَمْ يَحْتَجْ تومي إِلَى مَنْ يُخْبِرُهُ أَنَّ ذَاكَ هُوَ الْغُرَابُ بلاكي، الَّذِي لَمْ يَكُنْ يَجْرُؤُ عَلَى الِاقْتِرَابِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

وَكَادَ تومي يَرْقُصُ فَرَحًا؛ فَقَدْ عَرَفَ مَعْنَى ذَلِكَ كُلِّهِ. كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْأَرْنَبَ بيتر وَجاك السَّعِيدَ وَثرثار وَطَائِرَ السِّنْدِيَانِ سامي وَالْغُرَابَ بلاكي جَاءُوا لِرُؤْيَتِهِ يُحَقِّقُ مَا تَفَاخَرَ بِهِ، وَهُوَ أَنَّهُ سَيَأْكُلُ مِنْ يَدَيِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون، وَأَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يُصَدِّقْ أَنَّهُ سَيَفْعَلُ ذَلِكَ حَقًّا. وَقَدْ شَعَرَ بِالسُّرُورِ يَغْمُرُهُ وَرَاحَ يَتَقَافَزُ طَرَبًا. وَفِي النِّهَايَةِ طَارَ إِلَى شَجَرَةِ الْقَيْقَبِ النَّامِيَةِ بِالْقُرْبِ مِنْ مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ براون.

فَنَادَى تومي قَائِلًا: «صَوْ صَوْ صَوْ صَوْ! انظُرُوا إِلَيَّ! انظُرُوا إِلَيَّ!» وَقَدْ بَدَا صَوْتُهُ أَكْثَرَ مَرَحًا وَبَهْجَةً مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى.

ثُمَّ انْفَتَحَ بَابُ مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ براون، وَخَرَجَ مِنْهُ ابْنُهُ ثُمَّ رَفَعَ عَيْنَيْهِ إِلَى تومي، وَبَدَتْ نَظْرَةُ عَيْنَيْهِ رَقِيقَةً وَطَيِّبَةً لِلنَّاظِرِينَ. ثُمَّ ضَمَّ شَفَتَيْهِ، وَمِنْهُمَا خَرَجَ أَرَقُّ وَأَلْطَفُ صَفِيرٍ، وَبَدَا صَوْتُهَا هَكَذَا: «فُوووو ... يِيِيي.»

قَرَصَ الْأَرْنَبُ بيتر نَفْسَهُ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّهُ مُسْتَيْقِظٌ؛ فَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ تَغْرِيدَةَ تومي، وَلَوْلَا أَنَّ بيتر كَانَ يَنْظُرُ إِلَى ابْنِ الْمُزَارِعِ براون مُبَاشَرَةً، لَكَانَ وَاثِقًا أَنَّ تومي نَفْسَهُ هُوَ مَنْ أَطْلَقَ ذَلِكَ الصَّفِيرَ.

ثُمَّ صَفَّرَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون ثَانِيَةً: «فُوووو ... يِيِيي.»

وَرَدَّ عَلَيْهِ تومي بِصَفِيرِهِ: «فُوووو ... يِيِيي.» مِنَ الصَّعْبِ الْقَوْلُ أَيُّ الصَّفِيرَيْنِ كَانَ الْأَرَقَّ وَالْأَلْطَفَ.

وَصَفَّرَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون مَرَّةً أُخْرَى «فُوووو ... يِيِيي.» ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ. وَكَانَ فِيهَا ثَمَرَةُ جَوْزٍ مَشْقُوقَةٌ.

فَهَتَفَ تومي قَائِلًا: «صَوْ صَوْ صَوْ! انظُرُوا إِلَيَّ! انْظُرُوا إِلَيَّ!» وَرَفْرَفَ نَازِلًا مِنْ عَلَى شَجَرَةِ الْقَيْقَبِ لِيَقِفَ عَلَى يَدِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون، وَلَمَعَتْ عَيْنَاهُ الْبَرَّاقَتَانِ بِمَرَحٍ بَيْنَمَا رَاحَ يَأْكُلُ قِطْعَةً مِنْ ثَمَرَةِ الْجَوْزِ.

فَنَظَرَ الْأَرْنَبُ بيتر إِلَى جاك السَّعِيدِ، وَنَظَرَ جاك السَّعِيدُ إِلَى ثرثار، وَبَدَا عَلَى ثَلَاثَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُصَدِّقُونَ أَعْيُنَهُمْ. ثُمَّ نَظَرُوا إِلَى ابْنِ الْمُزَارِعِ براون مِنْ جَدِيدٍ، لِيَجِدُوا تومي جَالِسًا عَلَى رَأْسِهِ.

فَنَادَى تومي قَائِلًا: «صَوْ صَوْ صَوْ! انظُرُوا إِلَيَّ! انْظُرُوا إِلَيَّ!» وَقَدْ بَدَا صَوْتُهُ أَكْثَرَ مَرَحًا مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى؛ لِأَنَّهُ حَقَّقَ مَا تَفَاخَرَ بِهِ.

الفصل الثالث والعشرون

ثرثار يَزْدَادُ جُرْأَةً بَعْدَ جُرْأَةٍ

«أَنَا لَسْتُ خَائِفًا. أَنَا لَسْتُ خَائِفًا. أَنَا لَسْتُ خَائِفًا. أَنَا لَسْتُ خَائِفًا.»

ظَلَّ ثرثار يُرَدِّدُ لِنَفْسِهِ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى. فَقَدْ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ خَائِفًا، وَكَانَ يُحَاوِلُ إِقْنَاعَ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ لَيْسَ خَائِفًا. وَفَكَّرَ أَنَّهُ رُبَّمَا إِذَا قَالَ لِنَفْسِهِ مِرَارًا وَتَكْرَارًا إِنَّهُ لَيْسَ خَائِفًا، فَقَدْ يُصَدِّقُ نَفْسَهُ فِعْلًا. وَكَانَتِ الْمُشْكِلَةُ أَنَّهُ كُلَّمَا قَالَهَا، تَعَالَى صَوْتٌ خَفِيضٌ صَادِقٌ بِدَاخِلِهِ لِيُخْبِرَهُ بِأَنَّهُ خَائِفٌ.

مِسْكِينٌ ثرثار! فَقَدْ جَرَحَ كِبْرِياءَهُ اضْطِرَارُهُ لِلاعْتِرَافِ بِأَنَّهُ لَيْسَ شُجَاعًا كَطَائِرِ الْقَرْقَفِ تومي، بَيْنَمَا الْمَنْطِقُ السَّلِيمُ يُخْبِرُهُ أَنَّهُ مَا مِنْ سَبَبٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ يَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ شُجَاعًا مِثْلَهُ؛ فَقَدْ كَانَ تومي يَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ لِيَأْكُلَ مِنْ يَدِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون؛ فَبَدَا لِثرثار، وَالسِّنْجَابِ الرَّمَادِيِّ جاك السَّعِيدِ، وَالْأَرْنَبِ بيتر، وَطَائِرِ السِّنْدِيَانِ سامي، وَالْغُرَابِ بلاكي، الَّذِين رَأَوْا تومي يَقُومُ بِفَعْلَتِهِ، وَكَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ أَشْجَعُ تَصَرُّفٍ رَأَوْهُ فِي حَيَاتِهِمْ، وَبَلَغَ احْتِرَامُهُمْ لِتومي حَدًّا عَظِيمًا.

وَلَكِنَّ تومي نَفْسَهُ لَمْ يَظُنَّ تَصَرُّفَهُ شُجَاعًا عَلَى الْإِطْلَاقِ. كَلَّا، كَانَ يَعْرِفُ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ صَحِيحًا؛ فَقَدْ كَانَ يَتَمَتَّعُ بِعَقْلٍ سَدِيدٍ يُوجَدُ أَدْنَى قِمَّةِ رَأْسِهِ السَّوْدَاءِ.

وَحِينَمَا أَخْبَرَهُ الْآخَرُونَ كَمْ يَظُنُّونَهُ شُجَاعًا، فَكَّرَ فِي نَفْسِهِ: «رُبَّمَا كَانَتْ تِلْكَ شَجَاعَةً مِنِّي أَوَّلَ مَرَّةٍ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ شَجَاعَةً مِنِّي الْآنَ؛ لِأَنِّي أَعْرِفُ أَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون لَنْ يُؤْذِيَنِي؛ فَلَيْسَ فِي الْأَمْرِ أَيُّ شَجَاعَةٍ، وَقَدْ يَصِيرُ الْأَمْرُ ذَاتُهُ مَعَ ثرثار وَجَمِيعِ سُكَّانِ الْغَابَةِ وَالْمُرُوجِ الصِّغَارِ، لَوْ أَنَّهُمْ فَكَّرُوا بِالطَّرِيقَةِ ذَاتِهَا، وَأَعْطَوُا ابْنَ الْمُزَارِعِ براون وَلَوْ فُرْصَةً.»

وَكَانَ ثرثار قَدْ بَدَأَتْ تُرَاوِدُهُ أَفْكَارٌ مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ بِدَوْرِهِ، بَيْنَمَا كَانَ يُحَاوِلُ إِقْنَاعَ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ لَيْسَ خَائِفًا. ثُمَّ سَمِعَ صَوْتًا صَفَقَ بَابَ مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ براون وَأَطَلَّ بِرَأْسِهِ مِنَ الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ؛ فَوَجَدَ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون وَاقِفًا هُنَاكَ مُمْسِكًا عَلَى نَحْوٍ شَدِيدِ الْإِغْرَاءِ بِثَمَرَةِ جَوْزٍ كَبِيرَةٍ سَمِيكَةٍ، وَكَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يُطْلِقُ الصَّفِيرَ الرَّقِيقَ الْخَفِيضَ نَفْسَهُ الَّذِي اسْتَعْمَلَهُ عِنْدَمَا كَانَ ثرثار سَجِينًا لَدَيْهِ، وَكَانَ قَدْ أَحْضَرَ لَهُ أَطْعِمَةً مُشَهِّيَةً. وَبِالطَّبْعِ كَانَ ثرثار يَعْلَمُ جَيِّدًا أَنْ ذَلِكَ الصَّفِيرَ نِدَاءٌ لَهُ، وَأَنَّ ثَمَرَةَ الْجَوْزِ الْكَبِيرَةَ السَّمِيكَةَ أُحْضِرَتْ خُصُوصًا مِنْ أَجْلِهِ. وَقَبْلَ أَنْ يُفَكِّرَ، كَانَ قَدْ تَرَكَ الْجِدَارَ الْحَجَرِيَّ الْقَدِيمَ وَقَطَعَ مُنْتَصَفَ الطَّرِيقِ نَحْوَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون. ثُمَّ تَوَقَّفَ فَجْأَةً. وَبَدَا كَأَنَّ ذَلِكَ الصَّوْتَ الْخَفِيضَ دَاخِلَهُ يَصْرُخُ فِي أُذُنَيْهِ: «أَنَا خَائِفٌ.»

وَكَانَتْ تِلْكَ هِيَ الْحَقِيقَةَ؛ كَانَ خَائِفًا، وَكَانَ عَلَى وَشْكِ أَنْ يَعُودَ أَدْرَاجَهُ وَيُهْرَعَ إِلَى الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ عِنْدَمَا سَمِعَ صَوْتًا آخَرَ. وَتِلْكَ الْمَرَّةَ لَمْ يَكُنْ صَوْتًا دَاخِلَهُ. لَمْ يَكُنْ صَوْتًا دَاخِلَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ! كَانَ الصَّوْتُ آتِيًا مِنْ أَعْلَى إِحْدَى أَشْجَارِ التُّفَّاحِ فِي الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ، وَكَانَ مَا قَالَهُ الْآتِي:

«جَبَانٌ! جَبَانٌ! جَبَانٌ!»

وَكَانَ الْمُتَحَدِّثُ هُوَ طَائِرَ السِّنْدِيَانِ سامي.

وَإِنَّ قَوْلَكَ لِنَفْسِكَ إِنَّكَ خَائِفٌ أَمْرٌ، وَقَوْلُ شَخْصٍ آخَرَ لَكَ إِنَّكَ خَائِفٌ أَمْرٌ مُخْتَلِفٌ تَمَامًا.

فَعَنَّفَهُ ثرثار قَائِلًا: «لَيْسَ صَحِيحًا! لَيْسَ صَحِيحًا! لَسْتُ خَائِفًا!» ثُمَّ إِنَّهُ حَتَّى يُثْبِتَ كَلَامَهُ، جَرَى فَجْأَةً إِلَى الْأَمَامِ، وَاخْتَطَفَ ثَمَرَةَ الْجَوْزِ السَّمِيكَةَ مِنْ يَدِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون، وَعَادَ إِلَى الْجِدَارِ الْحَجَرِيِّ الْقَدِيمِ. وَصَارَ مِنَ الْعَسِيرِ الْقَوْلُ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ انْدِهَاشًا: ثرثار نَفْسُهُ، أَمِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، أَمْ سامي.

فَقَالَ ثرثار مُتَبَاهِيًا: «لَقَدْ فَعَلْتُهَا! فَعَلْتُهَا! فَعَلْتُهَا!»

فَقَالَ لَهُ سامي بِأُسْلُوبٍ كَرِيهٍ شَدِيدِ الِاسْتِفْزَازِ: «وَلَكِنَّكَ لَا تَجْرُؤُ عَلَى فِعْلِهَا ثَانِيَةً!»

فَرَدَّ عَلَيْهِ ثرثار بِعُنْفٍ: «بَلْ أَجْرُؤُ!» وَفَعَلَهَا ثَانِيَةً. وَمَعَ أَخْذِ ثَمَرَةِ الْجَوْزِ السَّمِيكَةِ الثَّانِيَةِ مِنْ يَدِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون، تَخَلَّصَ ثرثار مِنْ آخِرِ ذَرَّةِ خَوْفٍ مِنْهُ، وَأَدْرَكَ أَنَّ طَائِرَ

الْقَرْقَفِ تومي كَانَ مُحِقًّا طَوَالَ الْوَقْتِ عِنْدَمَا أَصَرَّ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ ثَمَّةَ مَا يَسْتَدْعِي الْخَوْفَ مِنِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون.

وَفَكَّرَ ثرثار فِي نَفْسِهِ قَائِلًا: «عَجَبًا، لَوْ أَنِّي سَمَحْتُ لَهُ، لَصَارَ صَدِيقِي مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ!» وَكَانَ مُصِيبًا فِي ذَلِكَ.

وَهَذَا كُلُّ شَيْءٍ عَنِ السِّنْجَابِ الْأَحْمَرِ ثرثار الْآنَ. فَطَائِرُ السِّنْدِيَانِ سامي مُصِرٌّ عَلَى أَنَّ دَوْرَهُ قَدْ حَانَ؛ لِذَا سَيَكُونُ الْكِتَابُ الْقَادِمُ عَنْ مُغَامَرَاتِهِ.


هنداوي